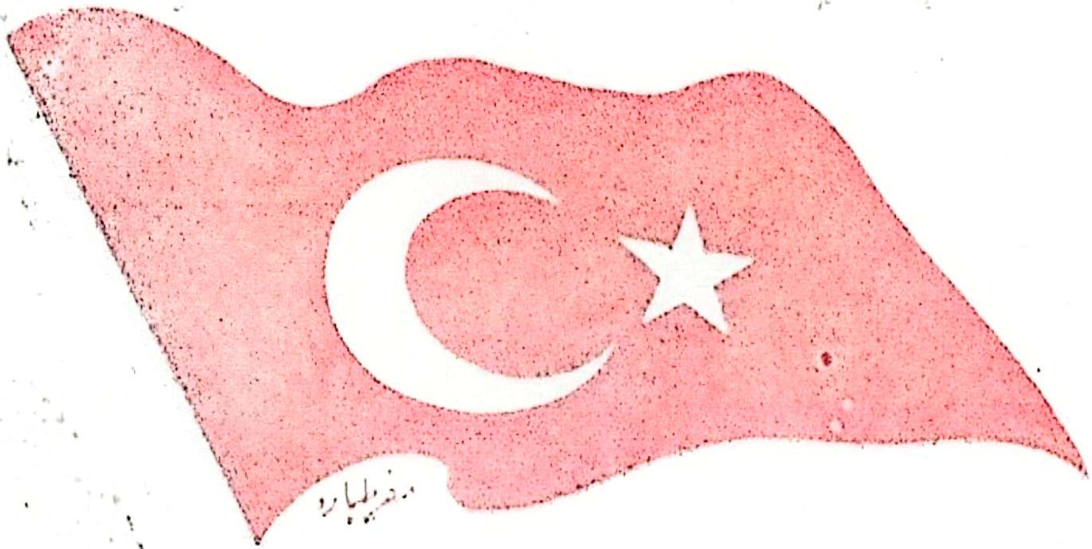
الثورة التركية : من عهد السلطنة الى عهد الجمهورية

عن التركية : محي الدين ميداني ، عن الانكليزية : كامل صموئيل مسيحه

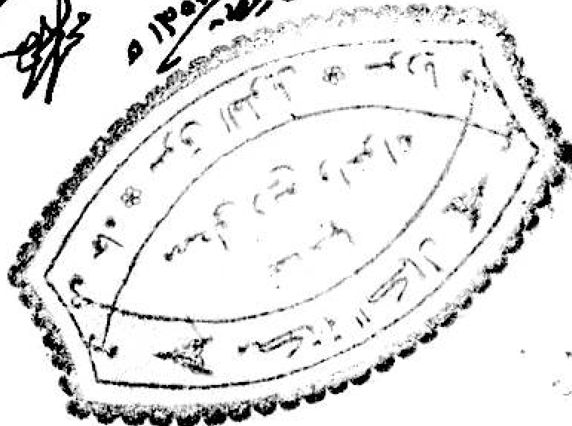


نشرت تباعاً في جريدة
النداء
بيروت - ١٩٣٢

الثورة التركية







اهداء الكتاب

الى كل شرقي تستفزه الغيرة والحمية على الشرق

الى كل شرقي يعمل بسائق الاخلاص لمصلحة الشرق

واعادته الى سابق مجده

نهدي كتابنا هذا

بيروت في آب سنة ١٩٣٢

محي الدين عبد الحي كامل صموئيل مسبحه

المقدمة

لا يخفى على كل ذي بصيرة ان الشرق قد قطع شوطاً بعيداً في النهوض والجهاد في سبيل استرداد مجده الغابر، وكان اواخر القرن التاسع عشر بدء هذه النهضة الجديدة، فنبغ في مختلف الاقطاء الشرقية اناس شهدت لهم اعمالهم بالمقدرة والكفاءة والوطنية واستمرت هذه النهضة آخذة في مجراها شيئاً فشيئاً حتى نشبت الحرب العظمى والتحمت اكثر دول العالم في المجزرة البشرية وتوقف كل شيء ما عدا ذلك العراك البشري حتى شاء الله ووضعت الحرب اوزاها .

كان الشرق منذ قبل الحرب يشعر بدبيب الاستعمار يحيط به من كل مكان فلما كانت الحرب امل الشرقيون ان ينالوا من الظروف وطراً يسهل لهم الحصول على استقلال بلادهم، ومناهم الحلفاء بالوعود المعسولة فانخدعوا

وكانت الدول الاوربية تعنت الدولة العثمانية بالرجل المريض، دلالة على ما وصلت اليه من التأخير والانحطاط، وزاد موقفها حراجة اشتراكها مع المانيا في الحرب ضد الحلفاء، فلما انتصر الحلفاء على المانيا ايقن الناس ان تركيا مقضي عليها بالفناء لا محالة

ولكن الله لم يشأ ان يحرم الشرق من دولة ترفع من شأنه ويعتز بها، فارسل الغازي مصطفى كمال منقذاً لتركيا، فاستطاع فخامته بما اوتيه من عزم ودهاء ان يسترجع شأن تركيا وان يجعل من ذلك الرجل المريض فتى يافعاً شديد القوة والعزم وهكذا اصبحت تركيا الجديدة بفضل الغازي مصطفى كمال تعد بين الدول العظمى ويحسب لها العالم الف حساب حتى ان جمعية الامم لم تبطئ ان استعملت كل الوسائل لدخول تركيا في اعضائها وتم لها النجاح فازدادت تركيا قوة فوق قوة . وبات من حق للشرق ان يزهو تيهاً بهذه الدولة الشرقية الغنية فخراً وعجباً

ان كتابنا هذا يتضمن روح هذه النهضة التي قام بها الغازي كما يتضمن سيرة حياته والادوار التي طرأت في خلال هذه الحقبة منذ الحرب العظمى حتى اليوم وقد عربناه مراعين فيه جانب الامانة في النقل، ونشرناه على الرأي العام ولا غاية لنا من وراء عملنا الا خدمة الحقيقة والتاريخ، فعسى ان يحوز القبول، ومن الله التوفيق وهو اكرم مسؤول

الغازي وحياته الديموقراطية

الغازي مصطفى كمال رئيس الجمهورية التركيه رجل غربي النزعة ، غربي في ديمقراطيته ، غربي في استنكاره للمداهنه ، واستقباحه للمصانعه والتملق . وقد تعلق الشعب التركي به تعلقاً كبيراً ولقبوه بمنقذ تركيا والشرق

قارنه مرة احد الاتراك بنابليون والاسكندر فقال للخطيب صراحة :

« ان اسمي مصطفى كمال . وان ما قمت به كان لتخليص الوطن من الاسر وهو من الواجبات على كل رجل في هذه البلاد . انني لست باسكندر ولا بنابليون . بل انا مصطفى كمال تركيا »

. الغازي مصطفى كمال « ايدياليست » عظيم ، ومن جماعة المجددين العصريين . قضي على الاراء البالية وهدم اكثر المؤسسات العتيقة ، وصان الدين الاسلامي من البدع التي ادخلت عليه بان الغى التكايا والزوايا ووضع حداً لاعمال المتطفلين من العلماء

ومصطفى كمال شرقي من حيث قسوته ، وعدم ميله للرأفة التي ليس لها مكانا في قلبه . والقسوة كانت ولا تزال من ابرز صفات رجال الحكم الشرقيين فالفرد في الشرق يجب ان لا يكون له رأي بارز معارض حتى يقدر له ان يهنأ و يعيش عيشة رضية بينما الفرد في الغرب يتمتع بأوسع معاني الحرية اذا استثنينا روسيا

ومصطفى كمال لا يرتدي على الدوام ثوب التواضع فتراه في بعض الاحايين ينفض يده من التصاغر

ويروي انه قال في ذات يوم :

« هناك مصطفى كمال الذي امامكم — مصطفى كمال الذي يتكون من لحم ودم ولكن هناك ايضاً مصطفى كمال آخر ، معنوي ، ليس الذي ترونه بعيونكم ماثلاامامكم بل هو مصطفى كمال المتقمص فيكم

انكم تكونون شخصية « مصطفى كمال » الثابتة !

انكم « مصطفى كمال » العصري عندما تدافعون عن المثل العليا !!

انكم « مصطفى كمال » العصري عندما تعتنقون الاراء الجديدة الحرة !!

... اني امثل احلامكم وامانيكم ! ولقد آليت على نفسي ان اكرس حياتي لتحقيق هذه الاحلام وهذه الاماني .

وقد وصفه بعض رجال الغرب هذا الوصف :

رجل وجهه من حديد ، يرتدي كلبكا ايضاً من الحديد . والكلبك يرمز الى تركيا الحديثة وعتقها وتحريرها اذا تحدثت اليه فانما تتحدث الى تمثال من الحديد وان كانت اسنانه السفلى محشوة بالذهب تتألق وتشع بريقاً يدل على روحه الحربية ، ونزعته التحكمية الصارمة

وعندما يهتاج الغازي و يغضب تتحول عيونه الزرقاء الى عيون شهباء . اما حدقة عينه فلا تستقر في موضعها عندما يغضب فترى الغازي قد اصبح احول العينين !

هو رجل لا هو بالقصير ولا هو بالطويل ، جسيم ، ازرق العينين ، بارز عظام الخدود ، مسنن الذقن

وهو متأنق في ملبسه التأنق كله ، يكثر من الابتسام وعندما يبتسم تظهر اسنانه المذهبه

وتقول عنه سيدة انكليزية :

« وهو وان كان يتظاهر باحترام النساء الا انه يستر بهذا التظاهر ما يعتقده في دخيلة نفسه بان المرأة ليست دون الرجل فحسب بل هي خالية من الروح » !!

هذا ما تقوله عنه سيدة انكليزية ، وهو لا ريب من الاحكام القاسية التي تصدرها

بعض المغاليات من السيدات فقد وقف الغازي ، وهذا ما لا يجب ان ننكره وقفة محمودة ينتصر فيها للجنس النسوي وتحرير المرأة التركية

وقد اختلطت به انسة انكليزية — مس اليسون — كانت تقطن انقره وتوثقت العلاقات بينها و بينه فأصبحت الرابطة بينهما تشبه الرابطه التى بين الطالب والطالبة في عهد التلمذة السعيد . فقالت عنه انه فتنة ، وانه رجل طموح طموح نابليون كما قالت عنه انه مغرم بالحيوانات يدلكها و يعني بها وانه يحب امه حباً عظيما يكاد يقرب من العبادة

والواقع انك تجد صورة الغازي في كل مكان في تركيا ، فلا تجد قهوة من القهاوي او داراً من الدور ، تعد كامله الزينة الا اذا زينت قاعة من قاعاتها بصورة الغازي مكبرة وملونة ، وعادة توضع في ابرز مكان في الدار

ولا تطلع على جريدة من الجرائد التركية الا وتجد فيها صورة او اكثر للغازي تمثله وهو يعمل ويجاهد .

والغازي مصاب بمرض في الكلي مما يجعل الاطباء يتخوفون على حياته و يطلبون منه العناية التامة بصحته ، ولكن الغازي لا يرحم نفسه فهو يجاهد فوق طاقته

والغازي لا يشعر انه في وطنه و بين اهله الا عندما يكون في انقره ففي انقره يجتمع الآلاف حوله كما يجتمع الصديق حول صديقه و يتحادثون معه في حرية مطلقة ، ويرفعون الكلفة التي تكون عادة بين الرئيس ورعيته

وسكان انقره من هذه الناحية على نقيض سكان الاستانة الذين لا يتبعون مثلهم سياسة الولاء الصريحة ، بل هم ابعد ما يكون عن الصراحة ، واقرب ما يكون من الذبذبة و كثيراً ما يصدقون الاشاعات التي يروجها اعداء الغازي فتتوتر العلائق بينه و بينهم ثم يصارحهم بالحقيقة فتنجلي الامور ، فيعود الصفاء والولاء .

ولهذا يضطر الغازي للاستعانة بالخطابة ليوقد الحماس في قلوب اهل الاستانة حيث يقول

اني اعتز بكم ، واتغلب على ضعفي عند ما ارى ما تتجشمون من اتعاب في سبيل

الوصول الي وسماع خطبي . لا تظنوا ان رؤية وجهي من الاشياء الجوهرية فاني اطلب قبل اهتمامكم برؤيتي ان تشاطروني ارائي ، وتعملوا بها ! . . . اني الان امامكم لتتأكدوا اني ممتلىء قوة ونشاطاً . وان هذه القوة التي اتمتع بها سأوقفها على خدمة وطني العزيز وتحقيق الاماني الوطنية ، وان محبتي لكم ستظل حتى افارق الحياة . . . هي هي لن تتغير . . . ولن تتبدل . . . ولن تضعف . . . واني ازداد قوة كلما زدتم تعلقاً بشخصي الضعيف القوي بكم . . . آزروني وعاضدوني تطيلون حياتي شجعوني تجددون قواي وان الاصلاحات العصرية التي ادخلتها وسأدخلها في المستقبل في هذا الوطن السعيد سيقدرها العالم اجمع . واني اتمنى ان لا اموت قبل ان اري هذه الاحلام وهذه الاماني قد تحققت »

وعند ما تسمع الآلاف المحتشدة هذه الاقوال المثيرة تأخذ في الهتاف ، فينسحب في هدوء ، و يعود الى لعب الورق ، والرقص مع الغادات الفاتنات . . فيقطع الوقت في بسط وطرب . . ثم تذكر الصحف انه عاد الى قصر « ضلمه بغجه » في الساعه ٥ صباحاً

و كتب التاريخ المدرسية الانكليزية تصور الغازي كما تصور فيليب الثاني او نابليون او كما صورت الصحف قيصر المانيا السابق

والانكليزي يعجب اشد العجب من طاعة ثلاثة عشر مليونا للغازي مصطفى كمال طاعة لا حد لها لانهم في سبيل ارضائه نسوا تقاليدهم وانكروا حتى ابطالهم في الزمن القديم فهم يعيبون اليوم اعمال اعاظم سلاطينهم . . . يعيبون السلطان محمد الثاني الذي فتح القسطنطينية والسلطان سليم الاول الذي احتل مصر . يعيبون على الاول اعترافه بذاتية الشعوب المقهورة في داخلية الامبراطورية العثمانية و يعيبون على الثاني تقلده الخلافة فجمع بين سلطتين الدين والسياسة لقد استطاع الغازي مصطفى كمال ان ينسي الشعب التركي تاريخه الماضي وان يبدل من معتقداته وعاداته وتقاليده بل من تقويمه ولغته سمح باشياء كانت في القديم محرمة وحرم اشياء كانت ذات يوم محللة

واننا اذا قارنا الغازي ببطرس الاكبر لا نخسف ببطرس امام مصطفى ولظهر الاول

بظهر المصلح الضعيف بجانب المصلح الثاني الجبار !! ٠٠٠ حتى البلاشفة ليشفقون على القديم اعظم من شفقة الغازي فهو بلا جدال اعظم رجل استطاع ان يحدث اهم انقلاب عرفه التاريخ ولكن هذا الانقلاب التركي العجيب لم يكن وليد الصدفة وحدها ، فالشعب التركي كان دائم التفكير في ضرورة الاصلاح ، ولكن افكار الاتراك كانت تسبح في الهواء ولا تستقر ، والغازي هو اول من جعلها تستقر

كانوا يتمنون ان يسايروا الغرب فجاء الغازي وحقق هذه الاماني وجعلها من الامور الواقعية ٠

ادرك الاتراك ان عظمة الغرب قائمة على القوة المادية ٠ هذه القوة المادية التي تعزى لذكاء الغرب ولمتانة اخلاق الغرب وان حاول كثير من الكتاب تصويره بصورة بشعة مزرية فالاخلاق تجدها في الغرب كما تجدها في الشرق

اعجب الاتراك بقوة الغرب فارادوا ان يتمشوا مع الحضارة الغربية ، و يعتنقوا ما فيها من خير ومن الطبيعي لا يمكن ان يهنأوا بالخير المطلق فلا بد ان يدفعوا ثمن هذه الحضارة ، فانغمسوا في بعض الرذائل الغربية

وجاء الغازي يحاول تبديل كل شيء واراد ان يجعل من التركي رجلا غربياً بحتاً و ينسيه شرقيته ٠ وهذا ما يلام عليه اشد اللوم فللمدنيه الغربية محاسنها ولها سيئاتها وقد آن للشرق ان يري هذه المحاسن وان كان يعلق بها بعض الشرور التي لابد منها ٠ و يكفي الغازي فخراً انه ابعد الذئاب ، وانقذ البلاد من شرهم وهو الان يقود قطيعه في جو يسوده الهدوء ونعمة الطمأنينة

ربما كان اختلاف بين تركيا الحديثة ، وتركيا القديمة ، ان تركيا الحديثة تطلب من الذين يضممون على الزواج تقديم شهادة تثبت سلامتهم من الامراض كشرط اساسي للزواج والا فان الحكومة التركية لا تسمح به بينما شبان تركيا القديمة كانوا يتزوجون الفتيات اللواتي يقع اختيار امهاتهم عليهن او الخاطبات « سمسارات الزواج »

وتركيا قبل ان تنهض نهضتها المباركة لم تكن تعرف شيئاً عن احصاء المواليد

احصاء علمياً كما تفعل تركيا العصرية اليوم، وليس ادل على ذلك من ان مولد مصطفى كمال ذاته غير معروف على وجه اليقين

وتجمع المصادر الرسمية كلها على ان الطفل مصطفى الذي قدر له ان يدخل لتركيا من بين اصلاحاته العديدة ادق نظم الاحصاء التي تتبعها الدول الراقية والتي تعد بحق حياة الحكومة ودمها الذي تتغذى منه انه ولد في سنة ١٢٩٦ على حساب التقويم التركي المدني القديم، وعلى هذا فالغازي قد ولد بين الثالث عشر من شهر اذار سنة ١٨٨٠ والثاني عشر من شهر اذار سنة ١٨٨١، ولكن الارجح، كما يقول الكتاب الذين عاصروه انه ولد في سنة ١٨٨١

اما والد الغازي فهو علي رضا وهو تركي من روملّلي، وعلى هذا فهو من ابناء اوربا وكان يتقلد وظيفة غير هامة في الجمارك التركية في سالونيكا ولكنه استقال لينصرف الى تجارة الاخشاب وهذا دليل قاطع على انه كان يمتاز بالابتكار والمخاطرة على نقيض صغار الموظفين في ايامه الذين يألفون الوظائف و يبقون فيها الى ان يطردوا او يستغنى عنهم او يحالون للتقاعد . ولكن الموت حال بينه و بين تصميمه على التجارة . ولا نعلم هل كان سيقدر له النجاح او الفشل ولكن ابنه يؤكد لنا انه كان لا بد ان ينجح لميزاته الخاصة، ولان الاتراك ليسوا غرباء عن الميادين التجارية

وتوفي علي رضا، وترك لزوجته السيدة زبيدة ولدين الاول صبي صغير، والثاني ابنة حسناء، ولما كانت العلاقات العائليه في تركيا متينة قوية تطوع عم الغازي على الفور بتربيته مع اخته، والانفاق عليهما وعلى السيدة والدتهما وكان عم الغازي هذا يعيش في الارياف فنشأ الصبي مصطفى في جو زراعي فمال منذ طفولته للابحاث الزراعية وهو اليوم يصرف الشطر الاكبر من وقت فراغه في البحث عن الامور الزراعية

وكانت اول وظيفة احترفها تخويف الطيور وطردها، حتى لا تتلف الزرع، وعلى الاخص في حقول اللوبياء والفول وكان هذا العمل، الذي لا يخلو من فائدة، رمزاً جميلا للاعمال الجسيمة التي من هذا النوع، والتي قام بها الغازي في المستقبل

ولا شك ما وصل الى ذروة المجد الا بطرده الطيور المؤذية عن ما كان يعده العالم «جثة تركيا»

وكان علي رضا قد صمم على تربية ابنه مصطفى تربية عالمية دنيوية

وكان مصطفى في ذلك الحين ما زال في مهده ، اما السيدة زبيدة فكانت امرأة تمتاز بالتقوى والورع تحافظ على التقاليد المحافظة كلها ، وقد رأت في ابنها علائم الذكاء فارادت منه ان ينصرف للامور الدينية وكانت تتمنى في يوم من الايام ان تراه دكتوراً في الشريعة الاسلامية ولهذا كانت تخالف زوجها في امانيه ، وتلح في ارساله لمدرسة من المدارس المعروفة هناك

ومن هذا ترى مبلغ اهتمام هذه الام الحكيمة بالعلم ، وتقديرها له ، فلم يكن من الامور الهينة على الام التركية ، وعلى الاخص في ذلك الحين ان تنفصل عن كبدها ولكنها رأت ان تربية فلذة قلبها تربية صحيحة فوق كل عاطفه اخرى

ودخل مصطفى مدرسة «شمس افندي» ، وعلى هذا فشمسي افندي يكون المعلم «الاول» لرئيس الجمهورية التركية «الاول» وقد بقي في تلك المدرسة حتى ارتقى الى الصف السادس ثم انتقل الى مدرسة راقية تسمى المدرسة الرشدية

ومما يذكره الغازي مصطفى كمال عن ايام طفولته انه تشاجر مع رفيق من رفقائه — وكثيراً ما تشاجر — فنال نصيبه من الجلد اذ ضربه الخوجه الذي كان يدرس اللغة العربية واوقفه عند حده فعز على الطالب مصطفى ان يلقى من معلمه هذه المعاملة القاسية فاصر على عدم العودة الى تلك المدرسة مهما كلفه الامر . ولم يخبر امه عن هذا الحادث ولا اطلعها على عزمه بترك المدرسة بل تقدم الى كلية حربية في سالونيكا طالبا ان يعد بين صفوفها فقبلوه بعد ان نجح في الامتحان الذي عقدوه له .

وان شاباً صغيراً يقوم على هذا العمل دون استشارة احد ليدل دلالة واضحة على الميل للاقتحام والجرأة . وسرعان ما اظهر مصطفى في الكلية الحربية كفاءة ومقدرة جعلت الاساتذة يعنون به عناية خاصة

وكان يدرسه في السنة الثانية القائد مصطفى ، وهو ضابط من ضباط الجيش وقد لاحظ على تلميذه الميل الغريب للرياضيات ، والواقع ان معظم كبار القواد يظهرون منذ صغرهم ولعاً عجيباً بالرياضيات ولما رأى استاذه منه هذا التفوق العلمي بجانب تفوقه الاخلاقي اراد ان يظهر له رضاه عليه وحبه له بان اضاف الى اسمه «كمال» ! . . .

حدث ذلك وهو بعد في سن السادسة عشرة ، ثم اخذ في الترقي ، وابتسم له الدهر . ويرجح انه تغلب على شهوته الجنسية اكثر من معظم الشبان والذى ساعده على ذلك انصرافه لدراسة مؤلفات فولتير وروسو ، والى مؤلفات معاصره الذي يشبهه في اسمه — كمال — وكان يجد في هذه المؤلفات القيمة غذاء لروحه فاراد ان يضيف الى عبقريته الحربية ثروة ادبية وولع بالحركات الوطنية وبدراسة تاريخ الثورات التي حدثت في العالم وشغف بحفظ القصائد الحماسية ووضع الروايات التمثيلية الوطنية وكان يحلم في ذلك الحين بزوال النظام الحميدي ولم تنقض اكثر من عشر سنوات حتى اصبحت الاحلام حقائق واقعية .

ثم انتقل الى الكلية الحربية في الاستانة وكانت لا تضم غير الضباط الذين اظهروا نبوغاً يساعد على الانتفاع بهم في المستقبل واستخدامهم في الوظائف التركية العامة فكان يعتنى بهم عناية خاصة حتى يزدادوا علماً ومراناً

وكان في ذلك الحين قد تعدى العقد الثاني ، واخذ يظهر شجاعة عجيبة ، واستطاع ان يجذب رفاقه اليه ، وان يسودهم وينظم منهم هيئة ثورية واخذ يصدر مجلة صغيرة تنطق باسم هذه الجماعة وتدافع عن مصالحهم فبلغت اخبار هذه الحركات مسامع القائد العام ولكنه ابى ان يتخذ اجراءات تأديبية لمعاقبة القائد مصطفى اما لانه كان يعطف عليه سراً او لانه كان يخشى معاقبة طالب مثله له مثل هذا النفوذ العريض بين اخوانه ورفقائه ولكنه عين بعض رجال البوليس السريين لمراقبته ولم يكونوا هؤلاء على شيء من الرقة او العطف

واخيراً في الحادي عشر من شهر كانون الثاني (فبراير) سنة ١٩٠٥ بعد ان انهى

مصطفى كمال دروسه المقررة واصبح قائداً يشغل وظيفة ادارية القي القبض عليه وطلب منه ان يتقدم الى لجنة تحقيق عقدت في يلدز

وكانت تدل الدلائل كلها على تغلغل الروح الثوروية في دخيلة نفسه ولكن رئيس تلك اللجنة لم ير أن اعمال الغازي من الخطورة بحيث تستدعي معاقبته، ولم يمض اكثر من بضعة شهور حتى صدرت الجريده الرسمية «الغازته» وفيها خبر تعيينه رئيساً لفرقة من الخيالة في دمشق وكان هذا التعيين في ذلك الحين يشبه النفي

واصطدم في تلك السنة في سوريا بالدروز البواسل الذين اشتهروا بشجاعتهم العجيبة ولكن اعماله هذه لم تصرفه عن التفكير في المشاريع الثوروية فأسس جمعية سرية اطلق عليها «وطن» اي مسقط الرأس و بلاد الاسلاف في مدينة دمشق، و بعد شهور قليلة اصبح لها بفضل مساعيه عدة فروع في بيروت و يافا والقدس

ولما كانت دمشق بعيدة عن الاستانة خلا الجو للغازي ليفعل ما يحلو له . اما رؤساء الغازي فقد لازموا جانب الحياد وان كانوا اظهروا له روحاً ودية . وكانت الامبراطورية العثمانية قد اندثرت عقليا واشرفت على الموت اقتصاديا و كانت اشبه بالالة التي تطحن ما بداخلها طحناً وتفتته تفتيتاً . وادرك مصطفى كمال ان الامبراطورية العثمانية، والسلطنة، والخلافة هي كلمات جوفاء لا معنى لها

ولم يقنع مصطفى كمال بسوريا وشعر كأنه منفي و بعد ان استمزج رأي القائد شكري باشا الذي كان في ذلك الحين قائداً للمدفعية في سلانيك، صمم على تبديل مكان المسرح الذي يمثل عليه رواياته السياسية السرية من دمشق الى مقدونية التي كانت في ذلك الحين قلب حركات الثورية ومصدر الهياج . واستطاع ان يحصل على اذن بالسفر وسافر فعلا الى مصر، وهناك نظم فرعاً لجمعيته السرية وتمكن من الوصول مختفياً الى سلانيك و بقي هناك اربعة شهور وقد بلغ شأواً عظيما في المقدرة على تنظيم الهيئات الثوروية وعرفت جمعيته السرية بجمعية الاتحاد والترقي ولكن رجال البوليس نشطوا الى مراقبته والوقوف على حركاته وسكناته وارسلوا الى جميل بك مساعد القائد

العام يشيرون بالقبض عليه ولكن جميل بك ارسل في طلب مصطفى كمال واطلعه على الاوامر التي تقضي بالقبض عليه ، واكد له انه لا يستطيع الابطاء اكثر من ٤٨ ساعة فترك البلاد مختفياً وقصد يافا . وعند وصوله اليها ارسله قائد البوليس احمد بك — الذي كان لعب دوراً هاماً في الحركة الثوروية — على الفور الى جنوب غزة فبقي في تلك الصحارى بعيداً عن عيون الحكومة المركزية حتى نسيت قضيته بعد ان حدث ما حدث في العقبة .

وبعد مرور سنة واحدة عاد ثانية الى دمشق وانضم الى الجيش السوري ثم سافر الى الى سلانيك في سنة ١٩٠٨ وسكن مع امه واستمر ينظم الدسائس مع اخوانه الضباط

وفي ذات يوم ابلغ احد الخدم السيدة زبيده بان ابنها يتآمر على سلامة الدوله فطلبت منه الاقلاع عن هذه الدسائس فذكر لها انه قد وعد اخوانه بشرفه انه لن يخونهم فتخلصت هذه المرأة الحكيمة بقولها :

« اني لا اود منك ان تخون اخوانك ولكن كل من يقدم على مثل هذه الاعمال الخطرة يحتم عليه ان يكون على يقين من نجاحها والا كانت العاقبة وخيمة »

ورأى مصطفى كمال ان يسكن على انفراد بعد هذه الحادثة لانه قد اعتاد ان لا يسمع مشورة احد ولكنه لم يكن يستطيع ان يخالف ارادة امه وكان يرى ان عصيانه لها يمزق قلبه تمزيقاً لشدة ولعه بها الذي يقرب من درجة العبادة

وعاش مصطفى كمال عازباً يقطع وقته في المقاهي الى ان وفق اخيراً لرئاسة الجمهورية ولما تبوأ هذا المركز الرفيع ، واصبح من المتعذر على امه تقديم النصائح له والتدخل في شؤونه كان يدعوها لزيارته في قصر قايا خارج انقره

وكان من ابرز صفات الغازي كرهه لتدخل عائلته في شؤونه كما انه كان ينظر الى رؤسائه نظرة غير ودية ويحاول دائماً انتقادهم ، ولكنه كان على وفاق مع رئيسه جميل بك اذ كان لا يرى فيه الا ما يدفعه الى الاخلاص له ورفعه الى مصاف الابطال

وفي ذات ليلة جلس في قاعة منعزلة في مقهى مدينة سالونيك وحوله الضباط من

الشبان يشربون المنعشات ويفكرون في الاماكن التي يقضون فيها ليلتهم كما يفعل عادة الشبان الذين خلعوا العذار واستسلموا لشهواتهم ثم اخذوا يتحدثون عن الابطال وكان كل منهم يتمنى ان يصل الى الشأو الذي بلغه البطل الذي يتعشقه اما مصطفى كمال فقد لازم الصمت

ولاحظ اصدقاؤه تعمده الصمت فسالوه عن بطله الذي يحاول الاقتداء به فاطال النظر اليهم ولم يجبهم فكان يرى كل من سموهم ابعد النـاس عن ان يكونوا ابطالا او ان يكونوا قدوة له ، ومن هذا ترى الروح الوثابة والطموح

وفي ذات يوم تحدث مع جميل بك بصراحته المعهودة وجراته النادرة قائلا ان العظمة الحقيقية لا تكون بتمليق الانسان لغيره أو محاولة خداعه بل تكون بالاخلاص الاكيد للبلاد ثم التفت اليه واستطرد في الحديث ولن تتغلب يا جمال بك على العقبات التي تقف في طريق مجدك الذي تنشده الا اذا اظهرت روح التواضع فقد بلغت حقيقة الى العظمة التي تنشدها ويحق لك الاغتباط

نتحدث عن العشر سنوات من حياة الغازي مصطفى كمال التي بدأ فيهـا ينضج سياسياً ويسير نحو المجد بخطوات سريعة . هذه السنوات العشر التي حدثت فيها عدة امور هامة يمكن الاستعانة بها على تفهم اخلاق الغازي والتأكد من استقلاله العجيب بارائه ومحافظته عليها

اسرع مصطفى كمال الى طرابلس عندما بدات الشحناء بين ايطاليا وتركيا ، ومر في طريقه على مصر متخفياً وقد نجا من القبض عليه بفضل تغاضي ضابط من ضباط البوليس المصريـــ الذي تواطأ معه

ولم يقض في طرابلس غير سنة واحدة وكان فيها اشبه برئيس عصابة . ثم عاد الى اوربا في الوقت المناسب وانضم الى الجيش التركي الذيـــ عاد فاستولى على ادرنه عند ما تقهقر البلغار امام قوات الملك قسطنطين

ثم اخذ نجمه يشع في كبد السماء وشعر بشيء من السرور لعجز الذين جمعوا

السلطة في ايديهم و كان يرى اعمال انور باشا آية في الحماقة والجهل وعلى الاخص اعتماده على هيئة المانية حربية عهد لها امر اعادة تنظيم الجيش التركي فكان يرى هذا العمل نتيجة جبن انور وجهله الفاضح

و كان مصطفى كمال يعد هذا العمل من انور جبناً لعدم ثقته بالادمغة التركية

و كان يرى مصطفى كمال هذا العمل من انور جهالة لانه قد سلم مقاليد الامور الى الاجانب فأطلعهم بذلك على دخائل البلاد التي كان يجب ان تظل مكتومة عن الغرباء

و كان مصطفى كمال قد وصل في ذلك الحين الى درجة قائمقام فاسرع في الحال عندما سمع نيات انور هذه بكتابة خطاب شديد اللهجة له اعترض فيه بحرارة على التصرفات العقيمة التي يودان يتصرف بها فيضر بلاده ضرراً جسيما و يجرح عزتها في الصميم

و كان الاعتراض في ذلك الحين ، في تركيا القديمة يتطلب جرأة نادرة فعد عمل الغازي « بطولة » و كيف لا يكون عمل الغازي بطولة و كيف لا يكون الغازي بطلا وقد وقف في وجه انور ، واعترض انور ؟ ولكن انور اراد ان « يكافئه » على بطولته هذه فعينه مندوباً حربياً في صوفيا فعرف كيف يفصله عن اخوانه الضباط و كان يخشى ان يبث مصطفى روح التمرد في نفوس الضباط وان يجعل الارتياب ينساب الى نفوسهم فيوهن عزائمهم و يفل من قوتهم و يقضي على روحهم المعنوية

و كان مصطفى كمال في صوفيا عندما بدأت الحرب العالمية وقد عرف كيف يصرف وقت فراغه في الاستمتاع فكان يصرف الشطر الاكبر من الليل في تعلم الرقص حتي برع فيه واجاده الاجادة كلها . ولكنه على الرغم من استسلامه لحياة المرح هذه كان على اتصال دائم بالجمعيات السرية السياسية التي نظمها في القسطنطينية والتى كانت توافيه بالاخبار الجديدة في حينها

وقد شعر مصطفى كمال منذ اعلنت الحرب انه لا يمكن ان يتم الفوز لالمانيا وحليفاتها ، و كان يصر على رأيه هذا ، و يحاول اثباته بالبراهين حتي في وقت كان الالمان فيه على ابواب باريس !! ان الالمان قد وصلوا ضواحي عروس المدائن كلها

فكان يصرح في الصالونات لاصدقائه بانه لا يؤمن بان النصر النهائي سيكون لغير الحلفاء ، وكان من الناحية الاخرى لا يوافق على دخول تركيا الحرب محافظة على سياستها الخارجية التي كان حجر الزاوية فيها ، والاحتفاظ باستقلال البلاد استقلالا اقتصاديا وسياسيا ، وكان لا يداخله ادنى ريب ان فوز المانيا لا يعني غير جعل حليفتها تركيا نجما صغيراً على شريطة ان تكون تحت امرتها وتظل من اتباعها · اما اذا قدر لها الفشل فتركيا ستكون اول من يلاقي ويلات هذا الانكسار واول من يذوق الوان الاضطهاد والذل · كانت هذه الخواطر تجول في نفس مصطفى كمال ولكنها ما كانت تمنعه مطلقاً عن الاقتحام والاستبسال فكان يحاول على الدوام ان يكون في طليعة المقاتلين

وقد كتب لانور يطلب منه ان يساعده على اشغال وظيفة في الجيش تتناسب مع رتبته التي وصل اليها فجاءه الرد انه لا يمكن الاستغناء عن خدماته في صوفيا ولكن مصطفى كمال لم يقنع بهذا الرأي وكان يرى انه اجدر بملء منصب اعلى من المنصب الذي يشغله في صوفيا · فكتب خطابا اخر يقول فيه لانور انه اذا كان لا يراه يستحق بان يشغل وظيفة اهم من الوظيفة التي يشغلها في صوفيا فليقل ذلك صراحة وعلانية ·

ولكن انور لم يجبه وتشبه بتمثال ابي الهول

فاخذ مصطفي يدبر طريقة للنجاة من هذا المأزق ووضع خطة ساعده فيها فتحي بك الذي كان يشتغل معه في طرابلس

ولكن الامور تغيرت فجأة قبل ان ينفذ مصطفى خطته اذ تسلم برقية بتعيينه قائداً للفيلق التاسع عشر - اما الاسباب التي دعت الى هذا الانقلاب الفجائي فاهمها الهزيمة المنكرة في سار يكاميش تلك الهزيمة التي سحقت قلب انور واذابته · فلم ير بداً من الاستعانة بمصطفى كمال وهو يعلم حق العلم مبلغ طموح ذلك الرجل ومقدرته في التغلب على الصعاب وتذليلها

خطبة الغازى فى المجلس الوطنى

و بدأ مصطفى كمال بطوف في انحاء تركيا فكان يستقبل استقبال الغازي المنتصر ولم تر تركيا حفلات شعبية كالتي اقيمت لمصطفى كمال و كان من الممكن ان ينتهز هذه الفرصة النادرة فيعلن الديكتاتورية الحربية و كان اعلانه الديكتاتورية — اذا كان حقاً قد اقدم على اعلانها -- لا يخالف العقلية التركية والتقاليد . فالتركي يميل لمن يستبد به استبداداً عادلاً و يتحكم في ارادته على ان ينصفه

ولكنه امتنع في ذلك الحين اعتقاداً منه ان الجيش يجب ان يظل بعيداً عن السياسة وفضل هذه الحماسة المتقدة التي يبديها الشعب فيكون منه حزبا سياسيا يستعين به على التحكم في اعضاء المجلس

وشرح الغازي وجهة نظره فقال

ان النصر الحربي لا يكفي وحده لضمان النجاح في المستقبل فلا بد ان يصحب النجاح الحربي اللتقدم السياسي والاداري

واننا لا نلوم مصطفى كمال لاستعماله هذا الكلام الغامض العام فانه كان يقلد ساسة الغرب في تعابيرهم المرنة ! . . .

و بدأ مصطفى كمال يفكر في الاصلاح وصبغ تركيا بالصبغة الاوربية و كان الاصلاح ولا شك وضع برنامج شامل والبرنامج الدقيق لا يقوم به على وجه مرضي الا لجنة فنية على اكبر جانب من الثقافة والاوفق انتخاب هؤلاء الافراد من الحزب الذي يحوز الاكثرية ولهذا رأى الغازي ان تختار لجنة فنية من حزب الشعب الذي لعب دوراً

رئيسيا في التحكم بمقاليد الامور ، هذا الحزب الذي يقرب في نظمه من الحزب الفاشيستي في ايطاليا والحزب الشيوعي في روسيا

وكان مصطفى كمال يريد تطبيق فلسفة العلوم السياسية الانكلوسونية الموافقة للذوق السليم ولكنه وجد ان المؤلفات المعربة التي وضعت في هذه العلوم من الندرة بحيث لا تساعد على سهولة الاخذ بها

ويمكن ان نقول ان مصطفى كمال كان يستمد قوته من حزب الشعب منذ انتخابات صيف سنة ١٩٢٣ وكانت مدة ديكتاتوريته اربع سنوات وهي المدة التي يعمرها البرلمان التركي

ولم يتوصل مصطفى كمال الى اجتذاب اعضاء المجلس الوطني الاعلى بسهولة فقد ناضل في هذا السبيل نضالا عنيفاً . وكان الاعضاء الذين لا يحلو لهم الا الاحتفاظ بالمعارضة على الرغم من استمالة مصطفى كمال لهم بكل انواع الاستمالة ينتهزون اية فرصة لمناهضته ويحاولون مهاجمته من اضعف نواحي حياته .. اي عن طريق معاهدة الصلح

دهاء عصمت باشا

وطالت المفاوضات التي كانت تجري في لوزان فاستغرقت طوال فصل الشتاء وتبرم الناس فاتهموا عصمت باشا بانه من المفاوضين الذين يحنون رؤوسهم امام القوة وانه على تمام الاستعداد لامضاء معاهدة سيفر الثانية

ولكن عصمت كان صلبا والدليل على صلابته ان اللورد كيرزون في الرابع من شهر شباط من السنة — (١٩٢٣) — حاول استمالة عصمت فاخفق وحاول اخضاعه فعجز

واصر عصمت باشا على الاحتفاظ بحقوق البلاد تامة غير منقوصة : وكان يزداد اصراراً كلما ازداد الشعب امعاناً في اتهامه بالاسترخاء السياسي وبيع الوطن !...

وترك لندن بعد ان اظهر اشد الامتعاض لمن كان يفاوضهم من الانكليز وكان

الغازي هو الذي يقوي عصمت بالمعلومات و يشدد عزيمته

وعاد عصمت باشا الى انقره فعقد الغازي المجلس الوطني الكبير وخطب في اعضائه خطبة معتدلة دلت على ان الغازي يراعي عواطف الشعوب و يتجنب القول الذي يمس الامم الاخرى ، فأكد في كلام واضح رغبة تركيا في السلام والهدوء ، وانها على تمام الاستعداد لان تقيم علاقات ودية مع اي مملكة تمد لها يد الصداقة . ولكنها — أي تركيا — حينما ترى ان الدول تفهم ان هذه المجاملات السياسية مظهر من مظاهر الضعف والاستكانة تبادر الى اتخاذ التدابير التي تبرهن على عكس ذلك . واكد استعداد تركيا للحرب في اي وقت اذا رأت ان الضرورة تحتم عليها الحرب . ثم تطلع الى وجوه الاعضاء واطال التحديق فيها وقال :

ان بلادكم ايها النواب الكرام اذا دخلت في حرب فسيكون النصر ولا شك حليفها ما دام الشعب يثق بمقدرته الحقيقية وما دامت البلاد تتمسك بميثاقها القومي وتحافظ على دستورها الذي قضى على سيادة الفرد ووضعها في الامة (هتاف متواصل)

واخذ الغازي ينتقد سياسة (الامبر ياليزم) والتوسع التي يتخذها الحلفاء وصرح هذا التصريح الخطير : ان عدوى الامبر ياليزم — سياسة التوسع والاستعمار — قد سرت الى الدول الكبرى كلها اذا استثنينا الولايات المتحدة التي لم تتسرب اليها العدوى وان تركيا لتعترف بهذا جهاراً وتقدر عواطف الشعب الاميركي حق قدرها الصحيح

. . . .

عرف الغازي بعد ايام قليلة بخبر ذلك البلاغ المستفيض عنه فاغرق في الضحك وقال ان وزير الخارجية وغير وزير الخارجية اصبحوا من اضعف الناس ولكنهم يسترون هذا الضعف بالتظاهر بالقوة و يكفي انه يطلب معاقبتي على رأي صريح ابديته ولكن هم وزراء انتزعت السلطة من ايديهم لجهالتهم وجبانتهم

ان اعمالهم الفاسدة ومشروعاتهم العقيمة وخططهم العفنة هي التي ادت الى مثل ما وصلنا اليه .

والواقع ان نظام الحكم قد تطرق اليه الفساد من كل جانب ماديا وادبيا . وكان مصطفى كمال قبل غيره يعرف مبلغ هؤلاء الوزراء من «القوة» فكان لا يخشى شيئاً

وعلى الرغم من نفوذ مصطفى كمال وسطوته ظل متواضعاً مع غير رجال الحكم فكان يقول عن نفسه انه من القواد الصغار وانه لا يريد شيئاً غير ان يعرف سكان تركيا انه ثائر في وجه الفوضى وانه يريد الاصلاح وسيضحي في سبيل هذا الاصلاح الذي ينشده بحياته وانه يعد ثائرا لانه يريد خلق تركيا الحديثة . تركيا الحرة . تركيا الناهضة التي من الممكن ان تقف في مصاف الدول العظمى الاوربية

وظل الغازي يتكلم ويخطب ويهيج اعصاب الناس ويستثيرهم ويستفزهم وهم لا يجرأون على شنقه .

وقد ارادوا ان يرهبوه بقتل احد القواد الذين يقلون عنه شأنا عسى يرتدع . فوقع اختيارهم على الضابط يعقوب بك وكان ناقماً على انور باشا نقمة شديدة . وكان انور باشا يضمر له الشر ويود انتهاز اول فرصة لاستئصاله فامر بشنقه بتهمة التآمر على سلامة حياته وكان يود القضاء على حلمي بك الذي كان طبيباً من اطباء الجيش وعدد من المتآمرين الذين كانوا يعملون مع يعقوب جميل في تدبير المؤامرات في الاستانة ولكن ذلك الطبيب الحاذق فطن للخطر الذي ينتظره فاسرع واستعان بالغازي وطلب حمايته وكان حلمي بك من اصدقاء الغازي منذ عهد الطفولة فشرح له الحالة فرحب الغازي به وقال له نجوت ! لقد نجوت ! ثم امر بتعيينه طبيباً في معيته

وكان الغازي في حاجة قصوى للاطباء في ذلك الحين فالجنود الذين كانوا تحت امرته كانوا يعانون كثيراً من شظف العيش فثيابهم كانت رثة غير كافية لحمايتهم من برد الشتاء القارس ، كما ان الطعام الذي كان يقدم لهم غير صحي وضئيل الكمية فكانوا يموتون كالذباب وعلى الاخص لعدم وجود الوسائل الصحية

ومما زاد الطين بلة ان الذين وكل اليهم توريد الاطعمة والثياب للجيوش كانوا يتفقون مع رؤسائهم على توريد الاصناف غير الجيدة وتنقيصها الى اقل حد ممكن

و يتقاسمون الارباح

واما الغازي فقد عرف بالنزاهة المطلقة ولم يقبل الرشوة وهـذا ما جعله يرفع صوته عاليا ينتقد هذه الاعمال الفاضحة التي ترتكبها هذه السلطات الرسمية الجشعة و كان يتهم الرجال علناً بالخيانة وقبول الرشوة

ولكنه استاء من الحالة اعظم استياء ففضل البقاء في الاستانة على رؤية هذه الاعمال المنكرة ترتكب امامه ، رجع الى الاستانة وهو اكثر تشاؤماً من اي وقت اخر

رجع الى الاستانه وهو يؤكد بانه لا مفر من الهزيمة فارادوا ان يبعدوا عنه شبح اليأس واخذوا يفكرون في وسيلة تطرد عنه القنوط ولا تجعله يستسلم لليأس كل هذا الاستسلام فلم يجدوا وسيلة غير « المال »

فارسلوا اليه بعض الصناديق من الذهب الوهاج مع قائد الماني وقائد تركي . فسألهما عن هذه الاموال ولمن تعطي فلم يجيبا فاعطاهما وصلا بانه قد تسلم الصناديق ثم حملها الى مركز رئاسة الجيش في حلب فتوترت في الحال العلاقات التي كانت بينه و بين القائد فالكنهاين .

ولم تمض غير بضع اسابيع حتى اتسع الخرق وتعددت القضايا التي كانا يتنازعان فيها ولا يتفقان عليها وعلى الاخص القضايا السياسية . ثم تحرجت الحالة لدرجة ان الغازي قدم بلاغا عن صناديق الذهب للقائد علي رضا باشا وقد شجعه على ذلك احمد جمال باشا الذي كان رئيسه السابق في سلانيك

ومما يذكر عنه انه كان يقبل اي اعتراض على تدخل الالمـان فى شؤون الدولة التركية البحتة ويحاول صدهم بكل وسيلة ممكنة

واخذ انور يرغب الغازي في البقاء في الخدمة وعرض عليه هو والقائد فالكنهاين ان يعود الى مركز عمله في ديار بكر ولكنه رفض . وحتى لا يظهر انور ضعف ادارته ، وعجزه عن اخضاع الغازي سمح له بالاستراحة شهراً كاملا

ورأى الغازي انه يود السفر والتنقل ولكنه لا يملك مالا . وأن المال قد جاءه

الى عنده فرفضه في اباء ولكن جمال باشا قدم له ٢٠٠٠ ليره ذهبية فعاد الغازي الى الى الاستانة التي كثيراً ما تركها ثم عاد اليها فكانت مكان اقامته الرئيسي ونزل في فندق بلاس الكبير واخذ ينتظر انقلاب النظام الفاسد الذي كان ناقماً عليه اشد النقمة والذي كان ينتهز كل فرصة لمناهضته والقضاء عليه

و بقي هذا الرجل الذي لا يعرف الملل في حياته راضياً ، على الرغم منه بحياة الهدوء طيلة سنة كاملة ينتظر تقلبات الزمان وهو يعتقد في دخيلة نفسه أن تركيا لا بد ان تدفع ثمن جهالة حكامها وعجزهم و ان الثمن الذي ستدفعه البلاد ليس بالثمن الزهيد

و كان لا يداخله ادني ريب ان طلعت باشا لا بد ان يعزل وان البلاد ستعرف النكبات التي اوقعها فيها انور باشا فتطرده طرداً ، جزاءاً وفاقا عادلا لا كجزاء سنمار ولكن الغازي من الناحية الاخرى لم يكن يملك رافعة من الروافع ترفعه الى المجد الذي تصبو اليه نفسه الطموح التواقة للمجد . و كان الغازي يؤمن ايماناً قوياً بان خلاص البلاد لن يكون على يد احد سواه

و بينما الغازي كان مستسلماً للقلق الذي كان يعكر عليه صفو حياته الهادئة — التي تكاد تكون خاملة — وقع الاختيار عليه ليكون في معية البرنس « وحيد الدين» الذي اصبح فيما بعد السلطان محمد السادس — اثناء زيارته للجبهة الغربية الالمانية كممثل للقيادة التركية العليا

والتقى مصطفى كمال بالبرنس لاول مرة ، ولكنه شعر على اثر هذه الزيارة الاولى بان هذه الشخصية لا تستهويه ولا تأخذ بمجامع قلبه

الغازي ووحيد الدين

استقبل البرنس مصطفى كمال باشا واستاذه القديم ناجي باشا — الذي كان يدرس في الكلية الحربية ايام كان الغازي طالباً في ذلك المعهد . و كان قد وقع عليه الاختيار ايضاً ليكون في معية الامير اثناء هذه الزيارة — في غرفة واسعة من غرف القصر الجميل

وكانت ارضية القاعة بديعة وجدرانها مغطاة بالطنافس العربيه والسجادات الثمينة ومزدانة بالستائر والسجوف وغيرها من المعلقات التي تدل على الاناقة وحسن الذوق ولكنها كانت خالية من الاثاث اذا استثنينا اريكة وكرسيين وثيرين

دخل مصطفى كمال فوجد حاشية الامير في ثيابهم الرسمية «الفراك» وقد زينوا رؤوسهم بالطرابيش وكانوا يحيطون بالامير الذي ظهر لاول وهلة بانه رجل مترهل رخو وكان مرتديا الثياب الرسمية

جلس الامير على الاريكة واشار لمصطفى واستاذه القديم بالجلوس على المقعدين الوثيرين وكأنه قد بذل جهداً كبيراً في مجرد الاشارة لهما بالجلوس واعتلاء الاريكة فاراد ان يستريح احتفاظا بالترهل وخشية ان تقتله الجهود العنيفة التي يبذلها واغمض عينيه واستغرق في تأملاته وهواجسه . وبعد زمن قصير رفع رأسه الى مصطفى وقال انه سعيد بالاجتماع والتعرف اليه، ثم غمض عينيه من جديد وعاد الى خموله ونعاسه . وخيل الى مصطفى ان الامير لا يملك القوة التي تساعده على التفوه باكثر مما قال . وانه يضن بقوته عن ان تبذل في الحديث . ولكنه ظل صامتا هو واستاذه وان كان قد ملكهما اشد العجب من بلادته التي لا حد لها وتعجبا كيف يمكن ان يكونا في معية رجل كهذا

واخيراً فتح الامير عينيه من جديد واخذ يحرك شفتيه العريضتين ولكنه لم يتكلم وسمعاه يقول في صوت خافت اشبه بالهمس :

ــ اننا على وشك السفر اليس كذلك ؟

وادرك مصطفى ان الامير قد بلغ به البله كل مبلغ فانسحب بعد مدة قصيرة هو وناجي باشا وهما يتحسران على ان تكون مقاليد الامور ومصير امة باكملها في ايدي اشخاص كهذا الامير !

والتقى مصطفى بالامير على المحطة في يوم السفر وقد اهتاج عندما رآه يحيي الحرس يرفع يديه الاثنتين وهذه التحية اليوم تعد جريمة يعاقب عليها في تركيا الحديثة لان

مصطفى كمال قدراَ ها غير طبيعية فوق انها غير لائقة . ولماذا لا يكتفي الانسان برفع يده اليمنى وحدها

واعترض مصطفى كمال على الثياب التي يرتديها هذا الامير وهو يعلم انه في زيارة لمنطقة حربية ولجبهة القتال الالمانية . وخاطب رئيس التشريفات في هذا الصدد فاجابه رئيس التشريفات بان سمو الامير قد ارتأى — ورأيه الاعلى — ان الثياب الحربية لا تناسبه شخصيا وانها تضايقه فهو لهذا قد رفض الارتداء الثياب الواسعة

والواقع ان هذا الامير عند اختياره الثياب التي ارتداها قد عمد الى ستر هذا الترهل أو ليفسح لنفسه المجال ليزداد ترهلا اذا اردنا مداعبته

وقد اوعز اليه الغازي ان يحيي الجماهير الواقفة على الرصيف فنزل عند طلبه وحيا المسافرين والذين جاءوا لتوديعه

ثم ساروا الى العربة التي قيل لهم انها قد حجزت للامير فوجدوها في اخر القطار ويا ليت الامر قد اقتصر على ذلك بل الادهى انهم قد وجدوها محتلة بامتعة بعض المسافرين فاعترض مصطفى ولكن اعتراضاته تبخرت في الهواء ولم تجد نفعاً فما كان من احد افراد حاشية الامير واعوانه الا ان حقر مصطفى كمال و« بخعه »

و يقول المثل الذي يريد ان يضحك فليضحك اخر الناس عندما يحقق له الظفر النهائي . فذلك الوقح الذي زجر مصطفى في ذلك الحين ولم يرد عليه الغازي احتفاظا بشخصيته و كبحا لعواطفه يقاسي اليوم في منفاه نتيجة سفاهته في حادث المحطة

ولكن الغازي استطاع التغلب على العراقيل التي وقفت في سبيله واستطاع ان يفرغ العربات المخصصة للامير وحاشيته من امتعة المسافرين فدعاه الامير اليه واخذ يكيل له المديح . و كان البكم الذي لازمه في القديم قد فارقه فابدل مصطفى كمال باشا رأيه فيه ولم يعد يظهر له بمظهر البلادة بل اخذ يعاتب نفسه لانه تسرع وحكم على الامير حكماً لا يخلو من الغلو فوق بعده عن الحقيقة

و بعد ان التقى مصطفى كمال باشا بالامير عدة مرار وتجاذب معه اطراف الاحاديث

الخاصة حاول ان يقنع نفسه بان الامير وحيد الدين من الممكن ان تنتفع البلاد به واخذ يذم جو (استنبول) السياسي الفاسد الذي كان يمنع رجلا كالاميروحيد الدين من اعتلاء العرش واظهار شخصيته الحقيقية ومن هذا نرى ان الغازي قد بدل رأيه في الامير تبديلا تاماً والواقع ان زيارته الاولى له قد تركت في نفسه اسوأ الوقع واصبح مصطفى يعتقد ان هذا الامير لا تنقصه الا النصائح وانه في مقدورهما معاً انقاذ تركيا من عدو السلام الالد والذي كان مصطفى كمال باشا ينظر اليه على انه وغد دنيء



الغازي مصطفى كمال باشا رئيس الجمهورية التركية

وقف القطار في السابع عشر من كانون الاول سنة ١٩١٧ على محطة سباء المركز الرئيسي للقيادة العليا الالمانية

وقد استقبله على رصيف المحطة الامبراطور ولهلم وهندنبرغ ولودندورف وعدد كبير من القواد الالمان

وتقدم الامبراطور وعانق الامير عند ما نزل من القطار وبعدها طفق وحيد الدين يقدم لغليوم افراد حاشيته ولما جاء دور مصطفى كمال باشا صافحه القيصر وقال بصوت مرتفع سمعه كل الحاضرين :

الفيلق السادس عشر ! بطل انا فارتا ! فاخذ القواد كلهم يتطلعون لمصطفى كمال باشا ويبتسمون له . وسأله الامبراطور عما اذا كان هو عين مصطفى كمال الذي كان يقود الفيلق السادس عشر والذي انتصر انتصاراً باهراً في انا فارتا . فاجاب مصطفى كمال باشا

— نعم يا صاحب الجلالة

عدم ثقة الغازي بالالمان

وزار الامير وحيد الدين ومصطفى كمال باشا المرشال هندنبرغ ثم لودندروف الذي رحب بهم واخذ يصف تفاصيل انتصارات الالمـان واقتنع الامير بصحة رأيـي هذا القائد ولكن مصطفى كمال باشا القائد الفني ، ادرك على الفور ان هذه الانتصارات انما هي وقتية ومحلية ، ولم يحتمل الصبر طويلا على مباهاة ذلك القائد والحكم جزافا على الشوءون الخطيرة فبدأ يحرجه بالاسئلة الفنية الحربية الدقيقة وكان اول قنبلة القاها على القائد الالماني :

اذا راعينا الظروف كلها ، وحسبنا حسابها فالى اي مكان يمكن ان تصل قوة الهجوم ؟ فكان تدخل احد رجال الامير في الحديث — تدخلا غير منتظر — سببا في ذهول القائد الالماني وتوقفه عن الحديث

ولم يكن لودندورف ينتظر من حاشية الامير ان تلقي الاسئلة من الاتراك على القواد الالمان فتطلع اليه ودلائل عدم الرضي بادية على وجهه وخاطبه بحدة :

اننا نحن الذين نقوم بالهجوم . وسنهجم عند ما نري ضرورة للهجوم وتبعاً للحوادث

ولكن مصطفى كمال باشا لم يكن من الذين يسهل التملص منهم على هذا السبيل الهين فلم يقنعه هذا الجواب . فقال بجرأة :

= ان في ظروف كالتي نحن فيها . لا ارى من الضروري التريث والانتظار او ترك الامور للصدف والحظ

واننا في حاجة لان نجني ثمرة جهادنا وان الهجوم الذي تقومون به في الوقت الحاضر محلي . فاطال لودندورف النظر في وجه محدثه وقد ازداد عجبه من جرأة ذلك القائد ولكنه لازم الصمت على الرغم منه فقد كان جواب الغازي مفحما وانتهت المقابلة على الفور بعد ان وجد القائد ان الريبة قد تسربت الى قلب ذلك القائد وقد بلغ خبر عدم ثقة مصطفى كمال باشا بنجاحهم سماع الامبراطور ولهلم نفسه

ولم يلازم الغازي الصمت منذ تلك الساعة وازداد يقينا بان الالمان سيفشلون فشلا محققا فاخذ يطيل الحديث مع الامير ، وناجي باشا ، عن حاجة تركيا لازالة الحواجز التي تحجب عن الاتراك رؤية الحقيقة الناصعة التي وضعها الالمان لابقائهم في عماوتهم وضرورة نفض نير الالمان واراحة البلاد من شرهم

وفي ذات يوم كان يتحدث في هذا الموضوع مع الامير ، وكان الامير يسلم معه بوجهة نظره هذه . وفي اثناء الحديث سمعا اصواتا غير عادية في الفندق الذي كانوا قد نزلوا فيه ، والذي كان سكنا لكبار القواد الالمان

الغازي في نظر العاهل الالماني

وحضر احد القواد الالمان وقال بان القيصر سيحضر في اقرب وقت لزيارة الامير .

وبعد وصول الامبراطور بدأ يتحدث عن ولاء تركيا لالمانيا ويفرط في مدح انور باشا ويقول ان القيادة العليا تعجب به اعجابا شديداً

اما الامير فقد القى الحديث الذي حفظه اياه الغازي قبل حضور الامبراطور بوقت قصير . فشكر الامبراطور ولكنه اشار بان تركيا تلاقي ضربات مميتة ستسحقها

سحقا وتزيلها من الوجود اللهم اذا اصبحت قوات الاعداء معادلة لقوة المانيا وحليفاتها

ولما سمع القيصر هذا الحديث الموءلم نهض نهضة شبه نهضة الممثل الذي يمثل دوراً ثم خاطب الامير قائلا :

« يا سمو الامير ، ويا وريث عرش تركيا ، اني آسف لان بعض الاشخاص قد جعلوا القلق يتسرب الى قلب سموكم . فهل من الممكن ان يبقى سموكم مرتابا بعد ان يوءكد لكم امبراطور المانيا بنفسه نجاح المانيا الباهر في الماضي والنجاح العظيم الذي ينتظر الجيوش الالمانية في المستقبل »

وكان ناجي باشا هو الترجمان فترجم هذا الحديث للامير وقد اجتهد ان يحافظ على عواطف الامير قبل ان يحافظ على دقة ما قاله الامبراطور ولهلم . ومع ذلك فقد ظل الامير في اصراره السابق . فلما وجد قيصر الالمان عناد ذلك الامير خرج فساروا معه حتى اوصلوه الى الرواق

وصافح ولهلم الامير وناجي باشا ثم نظر الى الغازي نظرة طويلة كي يتأكد انه فهم ان الاقوال التي فاه بها الامير وحيد الدين انما هي اقواله وبعد ان سار خطوتين التفت الى الوراء وقال بصوت مرتفع :

— عفواً لاني لم اصافحك . وحياه من بعيد فشكره مصطفى كمال باشا على هذه المجاملة

اما الدافع الخفي لهذه المعاملة الودية التي لاقاها الغازي من ولهلم فهي ترجع ولاشك الى ان الامبراطور قد تحقق ان مصطفى كمال باشا لم يكن من الرجال الذين يمكن اهمالهم

وقد طلب الامبراطور ولهلم في اثناء حفلة عشاء امبراطورية من لودندروف ان يهتم بجاره مصطفى كمال باشا ولما كان مصطفى كمال باشا يعرف في ذلك الحين قليلا من الالمانية فقد فهم ماقاله الامبراطور ولكن لودندروف قد تجنب طرق المواضيع السياسية الخطيرة . وكانت آراوءه غير آراء مصطفى كمال باشا . ولهذا لم يعره مصطفى كمال

اهتمامه . ولكنه كان يهتم الاهتمام كله بهندنبرغ وعندما التقي به بعد العشاء اخذ يطيل النظر اليه و يعجب بنظره الذي اعتاد ان ينفذ الى لب الامور وجوهرها و بلسانه الذي يعرف قيمة الصمت

وجد مصطفى كمال باشا ذلك القائد واقفاً على انفراد فصمم على ان يتقدم اليه ويحادثه فوجد ان هندنبرغ قد تحدث الى وحيد الدين عن الحالة في سوريا فاراد ان يحادثه في هذا الموضوع من جديد و كان يعتقد انه اولى منه بالتحدث في هذ الموضوع فقد رأى الحوادث بعينيه . ولما اكد له المرشال هندنبرغ بانه قد ارسل قسم الخيالة في الجيش الثاني — الذي كان مصطفى كمال باشا قد ترأسه — الى فلسطين ، تضاعفت ريبته لانه كان يعلم حق العلم بان هذا الفيلق الذي يتحدث عنه « وهمي » لا اثر له الا على «الورق» لا في « ساحات الحرب » فما كان من الغازي الا ان قال للمرشال الالماني : ان المعلومات التي وصلته لا تتفق مع الواقع

ثم قال : ولنفرض ان الحالة في سوريا قد عادت الى اصلها فما رأيك في الجبهة الغربية ؟ انكم تقومون بهجوم عام ولكني اشك كثيراً في ان هذا الهجوم سينجم عنه نتائج طيبة . فهل من الممكن ان تذكر لي بصفة خاصة الغرض من الهجوم» وماذا تنتظرون من ورائه ؟ و كان هندنبرغ يصغي الى هذه الاسئلة الهامة في انتباه شديد

و يظهر ان هندنبرغ اراد الاحتفاظ باسرار الحرب وعدم افشائها لمصطفى كمال باشا وحاول التملص منه فاقترب من مائدة عليها بعض السجائر واخذ واحدة منها وقال: هل تسمح لي ياصاحب السعادة ان اقدم لكم سيكارة ؟ فتناولها مصطفى كمال باشا منه وشكره

وهنا اقترب ولهلم واخذ يحادث هندنبرغ عن موضوع الحديث الذي دار بينه و بين مصطفى كمال باشا . فاجاب هندنبرغ بحذق

— تحدثنا في موضوعات متعددة ، ياصاحب الجلالة . و كان يخشى ان يقول شيئاً لئلا يسمعه مصطفى كمال باشا

اما الغازي فقد اشعل سيكارته وقام بحركة «عسكرية» فاذا هو بجانب وحيد الدين . وسأل الامير همساً عما اذا كان ولهلم قد بدد مخاوفه ام ما زال في ارتيابه . فأكد الامير له انه يحتفظ برأيه القديم . وعلى هذا نصحه مصطفى كمال ان لا يترك فرصة الا و ينتهزها للحديث مع ولهلم عن الشؤون الهامة . ونتائج الحرب المنتظرة . وان كانت هذه المواضيع لا تسره . ولكنه يجب ان يتأكد ان في تركيا رجالا يدافعون عن ارائهم و يتشبثون بما يرونه صحيحا منها

حديث عن الارمن

وحدث ان حاكم الالزاس كان من بين الذين اضافوا الامير ومعيته . واراد حاكم الالزاس هذا ان يتحدث في المسألة الارمنية و يسرد تفاصيل ما جرى للارمن وقال ان هذه الاعمال قد شوهت اسم البلاد واغضبت المانيا كما اغضبت الامم الاوربية كلها . ثم اخذ يدافع عن الارمن و يذكر تفاصيل الويلات التي صادفها هذا الشعب البائس واضطرب الامير وحيد الدين واسقط في يده ولم يستطع الدفاع عن نفسه وعن بلاده ولكنه استعان بالغازي وقال عنه انه قد حضر من ارمينيا حديثا واطلع على الحالة هناك بنفسه وانه يستطيع الاجابة

. . . .

اما الغازي فقد تخلص من هذا المأزق الحرج بالدفاع الآتي :

— انني اعجب اشد العجب ان يعمد حاكم ولاية المانية الى بحث موضوع كان من اللائق ان يظل مستوراً فلا ينبشه في وقت غير مناسب كهذا الوقت وانه يعجب في الاكثر من ان حاكما المانيا من كبار الحكام الالمان — رجل ممن يزنون اقوالهم ، يريد التحدث في موضوع كهذا — مع وريث العرش العثماني واني اريد ان اعرف من الذي دفعك لتتحدث ضد تركيا ! تركيا التي ضحت بكيانها الادبي والمادي للاحتفاظ بعلاقتها مع المانيا ، وصيانة للرابطة التي بينهما فهل ترى يا سيدي ان تفقد المانيا

صداقة دولة حليفة قوية ارضاء للارمن ؟ الارمن الذين يحاولون غش العالم وخدعه ليلوذوا باعادة كيانهم القومي الذي فقدوه في ليلة من الليالي الحالكة الظلام

اما حاكم الالزاس فحاول ان يهدىء من هياج الغازي فقال :

— عفواً يا سيدي ، ان المعلومات التي بلغتني ليست من المصادر الرسمية وعليه فقد تكون غير صحيحة .

فاستطرد الغازي الحديث قائلا :

— واننا لم نحضر ياسيدي لنتحدث عن مشكلة الارمن . ولكننا قد اتينا كبعثة اوفدت لزيارة الجبهة الغربية ولتدرس حالة الجيش الالماني دراسة صحيحة ولنقف على احوال حليفتنا ولقد رأينا ما رأينا ، واننا نعود الى بلادنا وقد تشجعنا روحيا . » وهنا انقطع الحديث بينهما .

وفي ذات يوم طلب الغازي من الامير وهم فندق « ادلون » بالمانيا ان ينظم الامير جيشا وان يكون هو مساعده الايمن بعد ان شرح له حالة الامراء الالمان وكيف يقودون الجيوش

فسأله الامير واي جيش هذا الذي انظمه ؟

ـ الجيش الخامس وهو اقرب الجيوش للاستانة فابتسم وحيد الدين وقال :

سنفكر في هذا الموضوع عندما نصل الاستانة

واصيب مصطفى كمال بداء في الكلي على اثر عودته الى الاستانة فاضطر الى ملازمة فراشه عدة اسابيع . ومنعه المرض ثم سافر وهو ما زال يشعر بالمرض الى (فينا) لاستشارة احد الاطباء وبينما كان يعالج في كارلسباد زاره بعض اصدقائه وذلك في تموز سنة ١٩١٨ واخبروه بان وحيد الدين قد اعتلى العرش فتملكه عند سماعه ذلك عوامل شتى واخذ يفكر في تقلبات الزمان وكيف ان وحيدالدين الذي لا يعده في مقام تلاميذه يصبح « سلطانا » ويلقب بلقب « باديشاه » ويتولى الخلافة . وقد اكتفى بان ارسل برقية يهنيء فيها رئيسه الجديد وحيد الدين

ومصطفى كمال باشا شديد التكتم يمثل العقلية التركية ادق تمثيل ولهذا فقد يظل الناس في العالم كله يجهلون الافكار الثورية التي كانت تجول في خاطرة تلك الافكار التي كان من شانها ان خلقت تركيا الحديثة ومن الصعب ان يدرس الناس الاساليب التي التجأ اليها مصطفى كمال للوصول الى هذا المجد العظيم فمصطفى كمال من الشخصيات الغامضة الفذة وهو لغز من الالغاز العسيرة الفهم

واعتزل مصطفى كمال في كارلسباد ، وفي اثناء اعتزاله راي انحلال الامبراطورية النمساوية وتفكك اوصالها فكان ذلك مدعاة لازدياد يقينه بان تركيا لن تتحرر الا اذا حررت نفسها بنفسها وعالجت قضاياها بذاتها وغسلت ثيابها في دارها

وليس هناك اي دليل يجعلنا نعتقد ان مصطفى كمال كان في ذلك الحين في مقام يمكنه فيه ان يتنبأ عن شيء مما حدث في المستقبل في تركيا على يديه ، وبفضل جهوده

* * * *

وبقي الغازي في عزلته مستسلما للاقدار . في شبه ذهول ، جامد الحركة ، اشبه بالمريض الذي خدرت اعصابه بالبنج ومثله في ذلك كمثل نابليون يوم قضى ايام عزلته في جزيرة القديسة تريزا

وبقي حتي نهاية شهر تموز يستمتع بكرلسباد على الرغم من البرقيات التي كانت تنهال عليه من اصدقائه والخطابات التي كانت تصله كالسيل وكلها حض شديد على التعجيل بالعودة . وانتهاز هذه الفرصة النادرة

ثم اصيب بالانفلونزا الاسبانية فاقعدته في فراشه اياماً في فينا . ولم يعد الي قصر بيرا الا في اخر شهر آب وهو لا يجد اى بارقة من بوارق الامل ولكنه وجد ان السبيل الوحيد غير الموصد في وجهه هو سبيل السلطان فليلجأ اذن لوحيد الدين وليتقرب منه

الغازى والسلطان الجديد

عاد الغازي الى الاستانة وذهب لمقابلة السلطان محمد السادس وخرج من عنده

متفائلا وقد استقبل السلطان مصطفى كمال باشا استقبالا وديا واراد ان يظهر رضاه عنه فقدم سيكارة و كبريتة مشتعلة فتشجع الغازي عندما رأى السلطان يبدي له هذا العطف استاذنة في تنفيذ المشروع الذي سبق ان عرضه في فندق ادئون منذ بضعة شهور

و كان فحوى هذا المشروع الخطير ان يكون السلطان الرئيس الفخري الاعلي للجيش وان يكون الغازي الرئيس الفعلي والمهيمن على كل الشؤون الحربية وعلى هذا يستغني عن انور ثم يقوم السلطان والغازي بقمع كل الفتن التي ربما تحدث على اثر هذا الانقلاب العظيم

وليس هناك ادنى ريب ان الغازي قد دافع عن مشروعه دفاعا قويا

و كان في دفاعه فصيحاً الفصاحة كلها و كيف لا يكون فصيحا في عرض مشروع شغل فكره طوال خمسة عشر عاما ؟

واخذ مصطفى كمال يتفرس في طلعة السلطان و يطيل النظر اليه ... ثم طفق يقنع نفسه بانه قد رأى في ملامح السلطان وطلعته ما يدل على شيء من الذكاء

فأخذ يتكلم ، و يتكلم فلا يسمع لكلامه صدى و اراد ان ينهض و ينصرف ولكنه وجد ان السلطان يتأهب لالقاء محاضرة او خطاب طويل واخيراً قال

— وهل يشاركك احد من القواد ؟

— نعم

ـ اذن سنفكر في الامر

هذا كل ما سمعه الغازي منه بعد ان قضى معه الساعات الطويلة

ولكن الغازي لم يتخل عن آرائه وضاعف من جهوده

الخلاف بين الغازي والسلطان

واحتاط السلطان في زيارة الغازي الثانية له فاستبقى ياوره عزت باشا اثناء هذه الزيارة فلم تخرج الاحاديث بطبيعة الحال عن المسائل التافهة ولم يتعرض الغازي في بحث القضايا

الهامة التي جاء من اجلها

اما الزيارة الثالثة فكانت الموقعة الفاصلة فان الغازي لم يجد السلطان في مثل جموده القديم ، بل رآه قد استفاق ومثل دور « الرجل الشجاع » فقال له انه لا يتمتع بأي سلطة . وانه سلطان بالاسم وان السلطة كلها في ايدي غيره ثم القى السلطان القنبلة فقال

— وقد رتبت الامور مع « طلعت وانور » وسنأخذ التدابير اللازمة !

« طلعت وانور ! طلعت وانور ! » طار عقل مصطفى كمال باشا عندما سمع هذين الاسمين فقال في نفسه : هذا الثعلب يريد ان يلعب هذا الدور علي ؟ انا مصطفى كمال ! ورأى الغازي ان لا مفر من احتقار محمد السادس وان واجبه القومي يدفعه الى الاستعانة به كمجرد آلة و بعد ان ينتفع به « و يضرس بأنياب و يوطأ بمنسم كما يقول الشاعر !

وعاد الغازي الى قصر بيرا واخذ يخفف عن نفسه ما المها من كرب لفشل مشروعه وخيبة آماله . واخذ يحدث نفسه و يقول بأن السلطان دساس كبير وانه كان يتظاهر بالبلاهة ولكنه مع هذا لا يفترق كثيراً عن المئات الذين يصادفهم في الاستانة من اضرابه وانه لا بد من الاستعانة بوسائل اخرى مجدية لتخليص البلاد وتطهيرها

الغازى في سوريا

فنرجع اذن لانور . اما انور ايقن الايقان كله ان مصطفى كمال من اخطر الرجال الذين يهددون حياته في الصميم . ولهذا صمم على اتخاذ كل وسيلة ممكنة لابعاد الغازي عن الاستانة ولم يجد مكانا يرسله له غير سوريا وكانت الحالة الحربية تزداد كل يوم من سيء الى اسوأ فاذا كان الغازي يتباهى بمقدرته الحربية فها هي سوريا امامه فليظهر فيها المقدرة وليرح انور من شره

وكان انور يدرك ان التخلص من الغازي ليس بالامر الهين ، وكان يعلم فوق ذلك انه سبق ان القى له بعض التعليمات والاوامر فضرب بها عرض الحائط فليس ببعيد في ظروف خاصة كهذه ان يفعل اليوم ما فعل بالامس و يمثل الدور عينه في صورة

تحط من كرامة انور فما كان منه الا ان خاطب السلطان وطلب منه ان يصدر « ارادة سلطانية » يقدمها السلطان « شفهيا » في حضرة عدد كبير من رجال الامة ، وايقن انور ان هذه هي الطريقة العملية لاجبار الغازي على الرضوخ وانه لا يستطيع التملص وقتئذاك فاجتمع انور والغازي في حضرة السلطان في يوم جمعة وهو يوم الاستقبال الرسمي في قصر يلديز وكان الغازي لا يعلم بالمؤامرة التي دبرت له فبلغه ان السلطان يريد ان يحادثه في أمور جوهرية . فاعترض وطلب ان يكون حديث السلطان معه على انفراد لا امام القواد الالمان ورجال القيادة الالمانية الذين كانوا يلازمونه في الحفلات والمجتمعات الرسمية

وهمس ناجي باشا في اذن السلطان بان الغازي يعارض و يطلب ان يحادث على انفراد . فلم يجد الهمس نفعاً واصر السلطان اصراراً تاما فلم يجد الغازي مفراً من الدخول على السلطان وسماع هذا الحديث الهام

فقال السلطان :

لقد عينت يا غازي قائداً عاما للجيوش التي في سوريا . ويجب ان تذهب الى مقر وظيفتك في هذه الساعة

ووقع الغازي في حيرة . . ماذا يفعل ؟ وهل يذكر للسلطان انه يابي الذهاب وماذا تكون النتيجة ؟ وهل يذكره بانه قد سبق ان استقال من قيادة الجيوش التي هبطت سوريا ؟

وهل من الممكن ان يعتذر بانه في امكان السلطان الانتفاع بهذه المقدرة التي يعترف هو بها في شيء اخر غير جيوش سوريا ؟ ولكنه رأى ان سلطانا كهذا يخضع لانور ولمشورة انور ادنى من ان يستحق شرف مناقشته ونخر معارضته . فانحنى له وخرج فالتقى بعدوه الالد انور وعلى ثغره ابتسامة تشف عن مبلغ سروره من نجاح خطته . فما كان من الغازي الا ان اهتاج وخاطب انور مستهزئا :

— برافو ! برافو ! اهنئك . لقد نجحت !

ثم قال جاداً : ولكن اعلم يا عزيزي انور ان الجيش السوري ليس له اي اثر الا على الورق وان القصد من ارسالي الى سوريا مجرد الانتقام والتشفي . وفضلا عن هذا فقد قمت بعمل هو الاول من نوعه ، وهو مخالف للتقاليد المعروفة كلها فقد طلبت من السلطان ان يلقي علي الاوامر بنفسه وشفهياً

ومرت عليه بضعة شهور عانى فيها كثيراً وعلى الاخص ايلول ، وتشرين الاول من سنة ١٩١٨ فقد جاء اللورد اللنبي وصد مصطفى كمال باشا في نابلس في العشرين من ايلول وشاهد الانهزام بعينيه وانحلال قواته الحربية وتمكن من الاحتفاظ بدمشق بصعوبة ومعونة القائدين العظيمين عصمت باشا وعلي فوءاد باشا وهما من بين القواد الذين مثلوا ادواراً هامة في الحركة القومية . واجتمع الغازي برجال القيادة العليا الالمانيـة وصارحهم بالحقيقة في لهجة مرة وكانوا قد خالفوه في رأيه

وشعر الغازي بالآلام التي كان يعانيهـا من مرض الكلي فلازم الفراش طيلة اسبوع في نابلس واستطاع ان يحث البقية الباقية من جنوده و يبعث فيهم الامل فاوصلهم بشق الانفس الى حلب ومنها الى كليكيا

و بعد ذلك بيومين اي في الثلاثين من ت ١ سنة ٩١٨ امضيت المعاهدة وافتتحت تركيا صفحة جديدة في تاريخها

مساعي الغازي الاستقلالية

بدأ الغازي يشعر بان تركيا لا يمكن ان تحتفظ بكيانها الا باسنة الحراب التركية فالحراب التركيـة هي وحدها التي تصون حياة تركيا ووجودها . فاخذ على الفور بتنظيم الجيش الوطني الذي قدر له ان يقلب الامور في تركيا رأسا على عقب و يغير مجرى الامور تغييراً تاما ذلك الجيش الوطني الذي استعان به الغازي على تحرير تركيا وكانت خطته في تنظيمه ان اوعز بتوزيع الاسلحة على اتراك عنتاب وامر بتنظيمهم وصمم على ان يظهر تركيا بمظهر القوة ويجعل الاعداء يوءكدون انها لم تعد تحت رحمتهم

وكان الغازي يرى ان السبيل الوحيد للوصول الى ذلك انما هو عن طريق «الثبات» وكان يرى ان تركيا في حاجة الى الثبات اكثر من اي صفة اخرى في ظروفها السيئة التي تحيط بها وانه اذا لم تتسلح «بالثبات» فستموت من تلقاء نفسها

وقد دافع عن وجهة نظره هذه دفاعاً قوياً امام عزت باشا ولكنه لم يجد منه ولا من غيره من رجال السياسة في الاستانة غير الرخاوة والضعف . وانهم باتوا جميعاً فريسة اليأس والقنوط

واراد الانكليز احتلال الاسكندرونه فارسل الغازي برقية لرئيس الوزراء يؤكد له فيها الخطر الجسيم الذي تتعرض له البلاد من سماحه للانكليز باحتلال الاسكندرونه دون مقاومة . فارسل اليه رئيس الوزراء برقية لطف فيها من حدته ، و يتوسل اليه ان تهدئ اعصابه و يتذكر ان تركيا قد هزمت في الحرب هزيمة منكرة وانها باتت ضعيفة لا حول لها ولا قوة فكيف تستطيع ان تقف في وجه الانكليز

ثم ختم برقيته بقوله : ان خير علاج للحالة الحاضرة ان يتخلى الاتراك عن الاسكندرونه للانكليز في هدوء

ولكن الغازي الذي عرف بمقدرته على التعبير عن ارائه التي تخالج نفسه في وضوح والدفاع عنها بحرارة فقد ارسل برقية اخرى لعزت باشا اطول بكثير من الاولى افاض فيها بوجهة نظره واشار اليه مرة ثانية بان البلاد لا تجني شيئاً على الاطلاق من سياسة الضعف التي يسلكها

موقف الانكليز

ولم يكتف الانكليز بالاسكندرونة بل طلبوا ايضا الموصل وادرك الغازي انهم سيعمدون في نهاية الامر الى احتلال البلاد كلها . وانه قد آن الاوان لان تجدد تركيا «الذبائح والقرابين» التي تريد ان تقدمها للانكليز

والواقع ان اعظم ما يمتاز به الغازي هو قدرته العجيبة على تحديد ما يريد على وجه

الضبط . وكان ما عزم على تحقيقه في ذلك الحين هو المطالبة باستقلال تركيا استقلالا تاما ، والوقوف في وجه النفوذ الاجنبي ومقاومة السيادة الاجنبية بكل اساليب المقاومة ، مهما لاقت البلاد من محن ومهما صادف الوطنيون من شدائد

واستقال عزت باشا وظل الغازي يعطف عليه بعض العطف

الغازي يسعى لقلب الحكم

واسرع الغازي الى الاستانة على اثر استقالة عزت باشا ولكنه وجد ان توفيق باشا قد فاز برئاسة الوزارة فبدأ يقاومه باسلوب جديد لم تعرفه البلاد التركية من قبل فقد نظم الدعاية ضده في البرلمان التركي . وحاول استمالة اكبر عدد من اعضائه اليه وتكوين جبهة برلمانية تقف في وجه رئيس الوزراء وتعمل على هدمه . وبذل في سبيل تحقيق هذه الفكرة اقصى جهد يمكن ان يبذله . وبلغ به الهياج والحماس ان دخل في ذات يوم الى اروقة البرلمان قبل عقد احدى الجلسات وخطب في الاعضاء خطبة نارية وطلب منهم بالحاح ان يعمدوا الى قلب الوزارة بكل وسيلة ممكنة ويصوتوا لنزع الثقة منها . ويظهر ان هؤلاء النواب قد تأثروا تأثيراً وقتياً لبلاغة الغازي فهتفوا له واعجبوا بدفاعه الحار وحماسه ووعدوه وعداً قاطعا بانهم سينفذون ما طلب منهم في هذه الجلسة ثم دق الجرس البرلماني وانعقدت الجلسة ، ولكن توفيق باشا على الرغم من المعارضة التي صادفها وجد ان الذين يصوتون معه اكثر من الذين يصوتون ضده . وقد اثرت هذه الحادثة تأثيراً سيئا في نفس الغازي وضاعفت من نقمته على ساسة تركيا في ذلك الحين فنقم عليهم واحتقرهم

ولكنه عاد يحدث نفسه ويقول : ان هذه الفئة التي تتلاعب بمصلحة البلاد هي هي التي ستساعدنا على القضاء على هذه الفوضى بعد ان تضج البلاد من شرهم . وان اعمال هذه الفئة كافية لتنفير الناس منهم وتوليد روح السخط الذي يمكنه استغلاله في خلق تركيا الحديثة .. تركيا الحرة

الاستعانة بالسلطان

ولما قطع مصطفي كمال باشا كل الامل من التأثير على أعضاء البرلمان التركي لم يجد وسيلة اجدى من الاستعانة بالسلطان من جديد فاوعز لناجي باشا ان يخبر السلطان بانه يريد الاجتماع به في اقرب وقت ممكن

ولكن السلطان محمد السادس الذى كان يفكر في ذلك الحين في مؤامرة جهنمية طلب من ناجي باشا ان يقول للغازى انه مستعد لملاقاته في اقرب « سلاملك » فوجد الغازي ان لا مناص من الانتظار ليوم الجمعة

ولما جاء يوم الجمعة دخل لملاقاة السلطان . وفي هذه المرة اجتمع الغازي بالسلطان اجتماعا خاصا لم يحضره احد غيرهما وانتهز الغازي هذه الفرصة النادرة واخذ يدافع عن مشروعه دفاعا حاراً كعادته فقاطعه السلطان وهو يلقي هذه المحاضرة التي سمعها منه مراراً قائلا : — وهل تضمن لي ان يكون الجيش في جانبي؟

ولم يكن مصطفي كمال باشا ينتظر ان يفاجئه السلطان بهذا السؤال غير المنتظر ولهذا وقع في شيء من الاضطراب والارتباك و بعد ان صمت زمنا قال :

— وهل بلغ اسماع جلالتكم ان هناك حركة في الجيش يفهم منها عدم الولاء لعرشكم؟

ولم يكد السلطان يسمع ذلك السؤال الخطير حتى اغمض عينيه كعادته عندما يريد معالجة الشؤون العويصة الخطره وقال : انه يثق بالجيش اليوم فهل من الممكن ان يثق به في الغد ؟

وقال الغازي للسلطان انه لا يرى اي باعث يبعث القواد والضباط على مقاومة سلطانهم وعدم الاخلاص لعرشه ولهذا فهو في اطمئنان تام من هذه الناحية ، وهو يثق بالجيش ثقة مطلقة

وحل البرلمان في اليوم التالي لمقابلة الغازي للسلطان ونشرت الصحف التركيه خبر ذلك الاجتماع

بدء النضال القومي في الاناضول

الغازي في سامسون ـ الجيش اليوناني في ازمير ـ خطبة نارية ـ الحكومة الشعبية ـ موءتمر ارضروم وسيواس ـ الغازي و كاظم قره بكير

واخيراً اعتلى المرسح الداماد فريد باشا ووجد الغازي انه لا يستطيع ان يقوم بعمل جدي وهو في الاستانه حيث الانكليز يملكون ناصيـة الامور فيها ، فذهب في اوائل سنة ١٩١٩ هو ورفقاوءه الى الاناضول و كان بينهم روءوف بك قائد البارجة (حميدية) ليوحدوا جهودهم وليوقفوا جشع الحلفاء

وفي شهر اذار من تلك السنة تكونت قوة الدفاع الاناضولية من الاقطار الشرقية حيث كان الشعور القومي يتأجج بسبب العداوة التي استحكمت بينهم و بين الارمن

ووجد الغازي مساعدة ادبية من كاظم قره بكير باشا الذي كان القائد العام للجيوش التركية في القوقاس سابقا

وصمم الغازي على ان يبدأ النضال و يترك المستقبل للظروف ولحكم الصدف والحظ ولكن عوامل شتى كانت تتنازعه فكان يرى ان هذه المغامرات التي يود الاقدام عليها لا امل له فيها وان حكومة السلطان والقوات البريطانية ستشترك معا في سحقة والقضاء على حركته قضاء مبرما . و بينما كان يفكر و يفكر سنحت له فرصة طيبة وهي ان ولاة الامور قد فكروا في ارسال قائد الى الاناضول للرقابة فوقع الاختيار

على الغازي ووافق رئيس الوزراء الجديد على هذا التعيين لانه كان يريد ابعاد الخطر الذي يتهدده عن الاستانة خصوصا بعد ان وجد ان الضباط يلتفون حول الغازي وهو يبث فيهم روح التمرد والسخط والهياج

ويقول الذين كانوا معه في ذلك الحين انه لما تلقى التعليمات التي جاءته بالذهاب الى الاناضول صرف ثلاث ساعات كاملة يفحصها بدقة وحاول ان يضيف اليها ويحذف منها بحيث ضمن لنفسه اكبر سلطة ثم اعادها الى رئيس الوزراء لاعتماد هذه التعديلات التي ادخلها على التعليمات الاولى فوافق عليها الداماد ومضاها دون ان يقرأها لان مشاغله الكثيرة كانت لا تسمح له بالاهتمام بامر كهذا

وقد تكون هذه الرواية صحيحة وقد لا تكون . فهناك بعض الدلائل التي تدل على ان حكومة السلطان كانت على استعداد لسند الغازي وتشجعه في حركته بسبب استيطان اليونان لازمير

وذكر الغازي ذاته انه قد ذهب الى الباب العالي في وقت كان يترأس فيه مجلس الوزراء فاوقفوا الجلسة وسالوه عن مطاليبه فقال لهم — قاوموا ! قاوموا !

— وكيف نستطيع ان نقاوم ؟!

اننا نترك الامور لتتصرف كيف تشاء وعندما تنتهي من كل شيء ننضم لك

وعلى اي حال فقد وصل الغازي سمسون في التاسع عشر من شهر ايار سنة ١٩١٨ وفي يده الارادة السلطانية بتعيينه ومعه رفعت بك « باشا » الذي عين حاكما لسامسون

ولما بدأ الغازي يسعى لتحقيق الغرض الذي يتوخاه وهو خلق تركيا الجديدة وتحريرها من النفوذ الاجنبي وجد انه سيتورط لا محالة في معضلات شتى فكان عمله يقضي عليه بتقويض الحكومة السلطانية والقضاء على الاسرة المالكة وكل الموالين والاستعاضة عن هذا النظام الفاسد بنظام عصري اي بانتخاب حكومة شعبية تتمشى مع رغائب الشعب وامانيه القومية وجعل مركز الحكومة الرئيسي « الاناضول » حيث اوربا لا تستطيع ان تستخدم نفوذها في تلك الربوع

الجيش اليوناني في ازمير

واحتل الجيش اليوناني ازمير تحرسه السفن الايطالية وذلك قبل ان يترك الغازي الاستانة بقليل - فوجد ان تركيا يجب ان تتحرر وخيل له في بادىء الامر ان الحراب التركية هي الوسيلة الوحيدة للوصول الى هذه الحرية التي ينشدها للبلاده العزيزة ولكنه عاد فرجع عن رايه فانه على الرغم من اعتقاده باهمية الحرب رأى انها في المرتبة الثانية من الاهمية وان الاساليب السياسية العصرية لها الشأن الاكبر وهي وحدها التي تحرر تركيا تحريراً نهائيا . ولهذا وجه الغازي كل قواه لهذه الناحية ، وترك مسألة الحرب والجيش موقتاً

خطبة نارية للغازي

وقصد ارضروم وخطب خطبة نارية فتحدث عن حوادث الارمن وغيرها ثم قال :

« لما كانت حكومة السلطان واقعة تحت النفوذ الاجنبي فيجب على سكان الاناضول ان يعمدوا الى الكفاح في سبيل استقلال الوطن العزيز

وكان للكلمات النارية التي القاها الغازي الاثر الفعال في نفوس القوم ، ولم تلبث ان اثمرت وكانت ثمرتها ناضجة .

الحكومة الشعبية

واجتمع الغازي في « اماسيا » برؤوف بك وعلي فؤاد باشا . والكولونيل رفعت وعرض عليهم فكرة قلب الحكومة وانشاء حكومة شعبية فلم تلق هذه الفكرة قبولا سريعا وقابلها البعض بالتردد والاحجام وكان علي فؤاد باشا اول من حبذ تلك الفكرة وعاضدها وشجع الغازي على اخراجها الى حيز الوجود

وقد نجح مصطفى كمال باشا في اجتذاب رؤوف بك وعلي فؤاد اليه ، واوعز للاخير بان يشير بانهم لن يفكرون في قلب الحكومة الحاضرة وتكوين حكومة قومية الا

في الوقت الذي تتطلب فيه مصلحة البلاد ذلك ، وانه في ذلك الحين لن يتأخروا عن اتخاذ الاجراءات السريعة لقلب الحكومة في اقصر وقت ممكن

وكان امامهم على المائدة بروتوكول ومما جاء فيه ان الحكومة المركزية كانت تحت رحمة النفوذ الاجنبي ، وانه لما كان الشعب التركي قد صمم على ان لا يرضخ ولا يذعن للسيادة الاجنبية كما يظهر ذلك من الهيئات التي تكونت للدفاع عن البلاد وصيانتها من الاعتداء الاجنبي فالسبيل الوحيد لتحقيق هذه الاماني التي ترغب فيها هذه الهيئات المتعددة ان تنضم الى بعضها وتتعاون معا على تحقيق هذا الغرض الواحد الذي يرمي اليه الجميع وهو نجاة البلاد من الخطر الاجنبي وقد امضاه كل الحاضرين

مؤتمر سيواس

وبعد ان امضى بروتوكول اماسيا عقد مؤتمر سواس وفيه تقرر انه لا يحق للاتراك طاعة الموظف الذي لا يعطف عطفاً اكيدا على الاماني القومية والذين امضوا هذا القرار الخطير قد وضعوا الحبال حول رقابهم ، وقدموا طرف الحبل للحكومة المركزية وهذه الحكومة المركزية لم تكن تتاخر عن تشديد الخناق على هؤلاء — الابطال — وزهق ارواحهم اذا استطاعت ان تفعل ذلك . ولكن هؤلاء الابطال الذين عرضوا حياتهم للموت الاكيد قد فضلوا الموت على ان يروا بلادهم الغالية تذهب طعما للسمك الاوربي المفترس او تقدم ذبيحة للنيران الاوربية

وجدوا ان حياتهم ارخص بكثير من ان يضنوا بها على تحرير بلادهم وانه خير لهم ان يقضي عليهم جميعا من ان ترزخ بلادهم تحت النير الاوربي .

انتعاش الامال

وبعد ذلك بيومين كتب الغازي وهو ثمل من خمرة النصر العظيم الذي احيا آماله الميتة وانعش مشروعه الذي انفك يفكر فيه هذه المدة وكان صادقا فيما كتب

الصدق كله :

ومن الآن فصاعداً لا تحكم « استنبول » الاناضول بل «الاناضول » استنبول !

ولما وصلت اخبار ماحدث في اماسيا للاستانة تنسم الثعلب القديم رائحة الخطر فأمر بعدم عقد موءتمرات او اجتماعات ولكن اوامر هذا الثعلب جاءت متأخرة كثيراً فان الغازي لم يعد يبالي بهذه الارادات وكان نفوذه اصبح اعظم من نفوذ الثعلب كثيراً

ولكن مع هذا كله رأى الغازي انه من الضروري ان يسلك سلوك الرجل الحذر الشجاع وكان يرى انه لا بد ان يقنع القواد الذين لم يمضوا برتوكول « اماسيا » بان لا بد من قلب الحكومة الحاضرة وانشاء حكومة قومية وانه يجب ان يقتنع الجميع بان البلاد لا يمكن ان تتحرر الا اذا كان على رأس تلك الحكومة القومية

كاظم قره بكير باشا

وكان الغازي يزيد المحافظة على صداقته لكاظم قره بكير باشا الذي اظهر براعة حربية في شرق الاناضول . والذي كانت قواته الحربية هي القوات الحربية التركية الباقية . وكان يرى الغازي ان هذه الجيوش التركية هي الحصن الوحيد الذي يقف في وجه الارمن وكان ينظر اليه الغازي على انه المثل الاعلى لرجال الجيش

وقد قال الغازي يوماً ما لكاظم قره بكير باشا ان ارادة الشعب يجب ان تكون موضع احترام كل جندي وكل سياسي . والشعب التركي الذي نسهر على خدمته ونتفانى في عبادته يلاقي اشد انواع الاضطهاد وسبب هذا الاضطهاد الذي يلاقيه هو ان استنبول تسمح لاعداء تركيا بالتدخل في شوءون البلاد البحتة . فاذا اردنا ان نصون ارادة الشعب ونحترمها فلا بد ان نبعد عن البلاد الخطر الاجنبي ولا نستطيع ان نفعل ذلك الا اذا تمكنا من تبديل مركز البلاد الاداري الرئيسي من الاستانة للاناضول وان البلاد في حاجة ماسة الى مجلس نيابي يمثل الشعب التركي تمثيلا صحيحاً بقدر ما تسمح به جغرافية البلاد وان هذا المجلس في وسعه اذا احسنا اختيار الذين ينطقون باسم تركيا

ان ينو بوا عن ارادة الشعب و ينطقوا باسمه

فكان يسمع كاظم قره بكير هذا الحديث المنطقي فيعجب به الاعجاب كله ·

ووافق كاظم قره بكير ان يترك الامر للمؤتمر الذي يمثل الشعب و ينزل عند قراراته في الثالث والعشرين من تموز سنة ١٩١٩ و كان اول قرار اتخذه المؤتمر ان وافق على انتخاب الغازي رئيسا له

ولم يكن اختيار الغازي رئيسا للمؤتمر بالاجماع وسرعان ما ارتفعت رؤوس المعارضين في ذلك المجلس الذي كان يجمع اناسا من مختلفي الالوان ومن اقاليم ريفية عرف اهلها بالصلابة

ارادة الشعب فوق كل ارادة

وارسل رئيس الوزارة في الاستانة برقية الى كاظم قره بكير باشا يأمره فيها بالقبض على الغازي واغلاق ابواب المؤتمر · ولكن كاظم باشا لم يرضخ لهذا الامر فكان ضميره لا يريحه بالقبض على مصطفى كمال الذي عاهده ان ينزل عند قرارات المؤتمر ممثل ارادة الشعب تمثيلا صحيحاً

وعلى هذا انضم كاظم قره بكير باشا الى الحركة القومية · وهتف مع الهاتفين فلتحي ارادة الشعب فوق كل ارادة !

كان مؤتمر سيواس اول اجتماع شعبي تجلت فيه الروح الشعبية في اجمل مظاهرها وربما كان هناك تشابه بين حزب مصطفى كمال في ذلك الحين والحزب الفاشستي في ايطاليا

وقد سبق ان ذكرنا ان الغازي لم ينتخب رئيسا لمؤتمر سيواس بالاجماع · و كان يعد ــ رسميا ــ نائبا عن ارضروم

تقربه من الشعب

واراد الغازي ان يقرب من الشعب فلم يجد وسيلة تقربه الى قلوب الاهلين اقوى من

مقاومته العلنية لليونان والارمن وسرعان ما ادرك الشعب ان الغازي اقدر رجل يستطيع ان يناهض هذين العنصرين فانزلوه من قلوبهم المكان الاسمى واخذوا يعلقون على مشروعاته الامال الكبار

الحكومة الجديدة الشعبية

اما الحكومة التي اوجدها ذلك المؤتمر فقد اطلق عليها الهيئة النيابية لحماية القضية المقدسة والعمل على تأييدها بكل انواع التأييد

وقد طلب الاعضاء ايضا تاسيس مجلس قومي وكان يظن بطبيعة الحال انه يعقد في الاستانة وان كان الغازي لا يرى هذا الراي هو وروءوف بك وان كانا لم يتجرأ احدهما على التصريح برايه . ولكن الغازي قد سر من فكرة المجلس القومي ولم يحاول القضاء عليها بطاب عقده في الاناضول كما كان يشتهي . ووجد الغازي انه من الحكمة الاكتفاء بهذه الخطوة الكبيرة وهي تاسيس مجلس قومي يمثل الشعب تمثيلا صحيحا . اما التفاصيل فليتركها لفرصة اخري طالما الدواء الذي وصفه المؤتمر يسكن الحالة ويقضي على الفوضى

والواقع ان تركيا كانت مريضة ومؤتمر سيواس هو الذي استطاع ان يصف لها الدواء المسكن لالمها ووجد الغازي ان في احياء الشعور القومي ، وانعاش النظرية القديمة وهي ان ارادة الشعب يجب ان تكون هي السائدة والحاكمة وانه لا يمكن ان تقف في وجه ارادة الشعب اي ارادة اخرى تقويضاً للسلطان وقضاء على الاسس التي يبني عليها نفوذه وسيادته

وقد هدد احد الضباط الفرنسيين مصطفى كمال يغلق مؤتمر سيواس بالقوة فاجابه مصطفى كمال :

« انه ليس من الهين احتلال سيواس . فاذا كانت فرنسا او اية دولة اخرى تريد ان تخنق الحركة القومية فى تركيا فيجب ان تستعد لحرب دموية مهلكة

وكان ايضاً يقابل الانكليز بهذه الروح التي تدل على منتهى الجرأة والاقتحام .

حكومة الداماد فريد باشا

ووصلت اربع اورطات انكليزية مدينة سمسون وكانت المسافة بين مدينة سيواس ومينائها تبلغ نحواً من مائة ميل والطرق غير معبدة . وقد زدات هذه الحركة مصطفى كمال يقيناً بانه كان غير مخطىء عندما اكد ان الانكليز لن يصلوا للاناضول والذي حدا الانكليز لاتخاذ هذه الحركة الارهابية ميلهم لتأييد حكومة الداماد فريد باشا الذي كان عدواً لدوداً للحركة القومية . وربما كان يمقتها اشد من مقت السلطان ذاته . وحاولت حكومة السلطان استخدام وسائل اخري بعد ان فشلت هـذه الوسيلة لمقاومة الحركة القومية وقتلها وهي في مهدها .

مصطفى كمال يشعر بالقوة

وشعر الغازي بالقوة فاخذ يحتم على كل موظف من الموظفين الاتراك الطاعة لاوامره وتنفيذ تعليماته ولم يكتف بذلك بل كان يأمر بمراقبـة الموظفين الاجانب الذين تبعثهم دول الحلفاء ويطلب منهم ان يفهموهم انه لايقبل اي تدخل في شؤون الحركة القومية التركية وانه في الوقت الذي يجد ان واحداً منهم قد خالف ذلك فانه سيعيده الى بلاده على اول سفينة من اقرب ميناء .

وكان مصطفى كمال باشا على تمام الاستعداد لمجاراة السلطان على شرط ان لايكون رئيس الوزراء الداماد فريد باشا . ولكن هـذا الرجل الذي قطع مصطفى كمال كل علاقة له به بعد مؤتمر سيواس اراد ان يجاري الغازي في سعيه وراء النفوذ والقوة . وعلى الرغم من كره الشعب له لانـه كان من المقاومين للحركة الوطنية بلا ريب — استطاع ان يقاوم مساعي مصطفى كمال التي كان يبذلها طيلة ثلاثة اسابيع لعزله من وظيفته — وقد صرف مصطفى كمال ليلة كاملة على اتصال دائم ، تلغرافياً ، مع استنبول

السلطان مصطفى كمال

اما السلطان وان كان يعترف بمقدرة مصطفى كمال باشا ومواهبه الا انه لم يعد يثق بولائه له ولم يتخل عن الداماد فريد الا عند ما تجلى له ان الداماد هذا من الممكن ان يصل ايضاً الى ما وصل اليه مصطفى كمال من القوة فاراد ان يوقفه عند حده قبل استفحال شره

ولما وجد السلطان انه ليس في مقدوره استمالة مصطفى كمال لجانبه بالترغيب او التهديد عمد الى مسايرته ومداراته وهو يعلم انه عدوه . وكان وحيد الدين يعلل النفس بالآمال الكاذبة فيتوهم ان مصطفى كمال لن يصل الى الزعامة التي يطمع فيها فان كبار القواد الوطنيين ينازعونه السيادة وكان يؤمل ان تقوى المعارضة فتقضي على هذه الحركة القومية التي اشعلها مصطفى كمال

وقد رغب في تعيين رئيس وزراء من المحايدين وكان يرجو من وراء هذه السياسة استرجاع بعض اعضاء حزب الاناضول واعادتهم الى الاستانة فوقع الاختيار على رضا باشا الذي كان في حقيقة الواقع يعطف على الاماني القومية وان كان لا يتظاهر بالتحيز لجماعة الوطنيين الاناضوليين

وكان وزير الحربية جمال باشا «المرسينلي» قد وعد بمقاومة اليونان

واما وزارة البحرية فتولاها صالح باشا وكانت علاقته طيبة بمصطفى كمال بل كان صديقه

اما وزير الداخلية الداماد شريف باشا فكان عدواً لدوداً للوطنيين وللاماني القومية وكان يحض الموظفين الذين تحت امرته باقتلاع الوطنيين من جذورهم واستئصال شأفتهم

وقد اراد مصطفى كمال ان يسلك سلوك رجال السياسة فلم يقاوم هذه الوزارة المحايدة التي كانت تجمع العناصر المختلفة ، واتاح لها فرصة لتعمل لخير البلاد بل ذهب الى ابعد من هذا فقد وعد هذه الوزارة بتأييد الوطنيين لها اذا قبلت الشروط الثلاثة الآتية :

١ — ان تحمي الوزارة الاماني القومية وتساعد على تحقيقها
٢ — ان لاتبت في القضايا السياسيه الا بعد اجتماع المجلس النيابي الذي يمثل الشعب تمثيلا صحيحاً
٣ — ان تقف الوفود التركية التي ارسلت لمؤتمر الصلح في جانب الاماني القومية وان تسلك السلوك الذي يضمن ثقة الشعب بها

اما علي رضا باشا فقد كان على تمام الاستعداد لقبول هذه الشروط . واظهر احترامه للوطنيين ورغبته في النزول عند مشيئتهم فارسل صلاح باشا ليتحدث في هذه الامور مع مصطفى كمال باشا في اماسيا

ولكن هذا التودد الظاهري لم يمنع مصطفى كمال ، الذي حذق فن السياسة واصبح من دهاتها ، من اتمام تنظيم الهيئات السرية في استنبول وايجاد فروع في ازمير والمناطق التي يحتلها اليونان

وقد خيل لهذه الحكومة ان موظفيها في الارياف في مقدورهم صد تيار الحركة القومية وعلى هذا فقد اباحت لوالي ولاية « العزيز » ان يحاول الاستيلاء على « سيواس » ففشل فشلا تاماً . وكان نتيجة هذا الفشل ان ضاع ما تبقى من هيبة للحكومة وفقدت مكانتها الادبية اذا كان يحق لنا ان نتسامح فنقول انه كان لها في وقت ماشيء من المكانة الادبية او غير الادبية .

المجلس التشريعي

وكانت القضية الوحيدة التي شغلت بال مصطفى كمال في خريف سنة ١٩١٩ هي قضية تأسيس المجلس التشريعي او البرلمان التركي .

وكان يعتقد اعتقاداً جازماً لا يداخله ادنى ريب فيه ان اغلبية الاعضاء الساحقة ستكون من الوطنيين وكانت الروح السائدة وقتذاك روح السخط على الاجانب والسعي لتخليص البلاد من شرهم بأي ثمن

وقد طلب الغازي ان يكون الناس احراراً في انتخاب الوطنيين فارسلت حكومة السلطان، صالح باشا، ليؤكد لمصطفى كمال انها توافق على هذه الحرية في الانتخابات على شريطة ان لا يكون من المرشحين احد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي

اما مصطفى كمال فكان يرى اعضاء هذه الجمعية من الخراف السوداء، وان تصرفاتهم غير الحكيمة تجلب على رؤسهم النكبات وراء النكبات ولهذا لم يكن يحاول التقرب منهم، بل لم تكن هناك اي صله بينه و بينهم

وجرت احاديث في اماسيا، واستنبول والاناضول بين السلطان والوطنيين وتم الاتفاق ان يكون بين الطرفين شبه حلف

ووافق صالح باشا على ما اشترطه مصطفى كمال بان تبقى حدود تركيا قبل الحرب هي الحد الادنى للاراضي التركية مع حذف البلاد العربية

ورضي صالح باشا بان تكون تركيا بعيدة عن النفوذ الاجنبي والسيادة الاجنبية وكانت هذه خطوة الغاء الامتيازات الاجنبية فيما بعد

الاستانة والاناضول

كان مصطفى كمال وحده الذي يظن ان انسب مكان لعقد هذه الجلسات «الاناضول لا الاستانة لهذا كان يسعى لهذا الغرض و يدافع عنه و كانت الاراء متضاربة في هذه المعضلة الجديدة التي اثارها مصطفى كمال فكان يخيل للبعض ان انعقاد المجلس التشريعي في استنبول يسبغ على المجلس «الهيبة القومية» . وصرح بعض النواب بانه في الوقت الذي يظهر فيه انهم هجروا عاصمتهم سيسرع الحلفاء في تقديم الاستانة لليونان

وقد يكون صالح باشا مخلصاً يوم وافق على هذه الاتفاقيات التي جرت بينه و بين الغازي ولهذا لا نريد ان نعده بين جماعة الخونة

الحكومة تؤثر على النواب

ومن المحقق ان حكومة السلطان استطاعت في تلك الساعة ان تكون على وفاق

مع اعضاء موئتمر سيواس الوطني . وهوءلاء الوطنيون كانوا على تمام الاستعداد لان يغدروا بزعيمهم وقائدهم « الغازي» لالسبب الا لانه يلح عليهم في ترك الاستانة فكانوا يعارضونه بشدة و يأبون نقل العاصمة ولو موءقتاً الى الاناضول و كان الغازي من الناحية الاخرى قد وضع نقل العاصمة اهم بند من بنود برنامجه الوطني القومي الجديد

وقد عانى الغازي كثيراً في اقناع الوطنيين للتسليم بوجهة نظره هذه . وجعلهم يوقنون ان نقل العاصمة من الامور الحيوية .

و بعد جهاد ثلاثة اسابيع متواصلة كتب للسيدة خالدة اديب — وهي سيدة تركية امتازات بمواهبها النادرة . و كان لها اصبعاً في الحركه السياسية — يقول بان قضية تحديد مكان البرلمان التركي قد اوقعتنا في معضلة على غاية من الخطورة

و كتب الغازي في ذلك الحين :

ان الرأي العام في استنبول قد يأخذه اشد العجب من اثارة قضية كهذه واني وان كنت اسلم معهم بان عقد الجلسات التشريعية في اي مكان آخر غير الاستانة لا يخلو من عيوب واضرار الا اني اري ان اضرار عقد هذا المجلس في غير الاستانة لا تعد شيئاً بجانب الاضرار المباشرة الجسيمة التي تترتب من عقده في الاستانه فانه من الموءكد ان دول الحلفاء ، وحكومة السلطان ستوءثر على النواب وتضغط عليهم وتتحكم في ارادتهم وتخضعهم لمشيئتها وفي هذه الحالة يكون عدم وجود هذا المجلس خير من وجوده »

الميثاق القومي وحرية الشعوب العربية

وعرض الميثاق القومي في الثامن والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٢٠ و كان يتألف هذا الميثاق من ست مواد قصيرة تتضمن الاعتراف بحق البلاد العربية في تقرير مصيرها بنفسها على شريطة ان تعطى للشعوب العربية الحرية الواسعة لانتخاب نظام الحكم الذي يروقها

وتنص المادة الثانية على ان يتمتع الشعب التركي باوسع حقوقهم الانتخابية . والثالثة

عن استقلال الاناضول مع صيانة الاستانة وبحر مرمره

والمادة الرابعة عن حقوق الاقليات ومن بينهم اليونان والارمن على شريطة ان تتمتع الاقليات الاسلامية بعين هـذه الحقوق في البلاد المجاورة التي تكون اكثريتها من غير المسلمين

ولكن اهم هـذه المواد هي المادة السادسة التي كانت تنص على ضرورة تمتع البلاد بكيانها الحر واستقلالها التام . وكان يرى ان استقلال البلاد استقلالا تاماً يضمن تقدم تركيا تقدماً قومياً واقتصادياً ويجعلها تتمتع بارقى نظم الحكم

وجاء في الميثاق الفقرة الآتية :

« وسنقاوم كل القيود التي توضع في طريق تقدم البلاد السياسي والقضائي والمالي

ليجب كل فرد عن هذا السؤال بحسب ما يمليه عليه ضميره اما عن رأي الشخصي فاني اعتقد اعتقاداً جازماً ان اول الفصل اولا وآخراً لرجل تركيا الاوحد الغازي ولكم رأيكم فاحتفظوا برأيكم ولي رأي احتفظ به .

لقد ارتأى الغازي ما لم يرتئيه اي تركي آخر في زمانه .

واظهر في الميثاق القومي الذي وضعه استخفافه بالخلفاء . كما ان هذا الميثاق القومي وحد الشعب التركي وجمع شملهم . وهو مسمار جديد دقه الغازي في تابوت حكومة استنبول ، بل وفي تابوت السلطنة ذاتها .

وتحقق ما كان ينتظر الغازي فارتمى السلطان في احضان الانكليز ومنذ ذلك الحين عداسير الانكليز وهذا ما كان يسعى اليه الغازي من يوم ان رسا على سمسون فصرف اذن ما يقرب من سنة ليظهر للاتراك حقيقة ذلك الثعلب

هذه هي الساعة التي انكشف فيها الستار عن دساس من اكبر الدساسين وان تظاهر بالبلاهة

هذه هي الساعة التي كان ينتظرها الغازي على احر من الجمر

شعر الغازي بقوة ما بعدها قوة وبان النصر اصبح حليفه بعد ان كشرت له الايام طويلا وبعد ان اساءت اليه الظروف رغم تودده لها . وتضخمت شخصية الغازي

تضخماً اعظم من اي وقت آخر و بات رجل تركيا الاوحد و بطلها الفذ

ولكن مع ذلك كانت الاحوال مضطربة فالفرنسيون كانوا يحاولون مد نفوذهم في سوريا الشمالية ٠

واليونان يستعدون للتوغل

والانكايز يهيئون الجواب على الميثاق القومي التركي ٠

و بعض سكان الاناضول قد خارت عزائمهم ودفعهم اليأس الى ابداء الاراء المتضاربة لتخليص البلاد مما احاق بها من و يلات

و كان الرأي العام في انقره ذاتها يريد الصلح والهدوء ٠ وعلى الاخص نساء انقره اللواتي اخذن ينادين بان الكيل قد طفح وان انقره قد لاقت ما يكفيها من عذاب وتعاسة فليتم الصلح باي ثمن ٠ ولكن الغازي في هذا الجو الحالك الظلام استطاع ان يسير سفينته دون ان ترتطم و كان يرى بلاده مازالت قمراً لم ينخسف بعد وان رآه الاتراك جميعاً يسير نحو الخسوف

قد اجاب على الحلفاء الذين طلبوا منه اخلاء غرب الاناضول ، ليخلوا الجو لليونان وليتوغلوا ماشاءوا دون ان يلقوا معارضة في طريقهم — جواباً شديد اللهجة و كانوا قد وعدوه ان يفعل ذلك في نظير ضمانهم لسلامة الاستانة ٠ اجابهم في صراحته :

ان مسألة استنبول لم تعد مسألتها وحدها بل قضية تركيا كلها ٠ وقد تنسم الحلفاء من هذا الجواب رائحة الثورة في الحادي عشر من شهر اذار سنة ١٩٢٠ تطلع رؤوف بك ، فوجد اشياء معلقة في الجو تنذر باوخم العواقب فنصح كبار الوطنيين بان يتركوا البلاد باول فرصة لئلا يقبض عليهم و يقصدوا انقره اذا شاءوا

ولكنهم لم يسمعوا لنصيحته و كان من حسن حظ القضية الوطنية التركية ان لا يسمعوا لمثل هذه النصيحة ٠

وحدث ان تشيع ما كان معلقاً في الجو ونزل برداً وسلاماً على قلوب الوطنيين وان كان خصومهم ارادوا ان تمطرهم السماء ناراً و كبريتاً ٠ ولنترك المجاز فنقول انهم نفوا

الى مالطة كبار اعضاء البرلمان و كانوا نحو الار بعين فتلقوا النفي كما يتلقاه الذين يعرفون ان طريق المجد محفوف بالشوك وان الوطنية الصادقة هي وطنية السجون والمنفي والخسائر المادية لا الوطنية الجوفاء ، وطنية « الحكي » وامضاء العرائض و كتابة البرقيات !..

لقد التهب الرأي العام التركي ، وخدم هذا النفي القضية الوطنية اكثر من اي عمل آخر و بعد ان كانت النيران تضطرم في اجزاء قليلة من تركيا عمت البلاد من اقصاها الى اقصاها وليعرف الناس في المستقبل ان السبيل الوحيد لاشعال الحركات القوميـة وانعاشها ان يمعنوا في استخدام اساليب التعذيب وان يغالوا في نفي الزعماء وان لا يبخلوا التعمير السجون بالمجرمين السياسيين وان ينقضوا على البنوك فيستلبوها الاموال الموقوفـة على الحركات القومية كما هو الحال في الهند

هذه هي الاساليب التي تحيي الحركات القومية وان ظل الناس يعتقدون في القديم انها تقتلها وتميتها وستظل التضحية الي الابد الطريق الوحيد المكفول للمجد وللخلود !!....

الحكم بالاعدام على الغازي

قبل ان اجتمع رجالات تركيا الوطنيين اول اجتماع وطني في انقره وصلت الاخبار بان المحكمة العسكرية قد حكمت على الغازي وستة من كبار الوطنيين بالاعدام من بينهم بكر سامي بك والدكتور عدنان و خالد اديب وعلي فؤاد باشا . و بعـد هذا الحكم بالاعدام اصبحت حياتهم في خطر لانه لم يكن من البعيد ان يغتالهم احد المتهوسين الذين ما زالوا يحبون السلطان و يرونه مولاهم الروحي

وقد صرح الغازي في احاديثه الخصوصية بان خبر الاعدام هذا آلمه اشد الالم ولكنه لم يؤثر على السياسة التي عزم السير عليها بعد ان وقع الاختيار عليه ليكون رئيساً للمجلس التشريعي وعلى رأس الحكومة .

ثم افاض الغازي في شرح فساد الخطط التي يلجأ اليها وحيد الدين في المقاومـة ، واعتماده على مستشارين اغبياء وهو فوق ذلك اسير ولا يستطيع ان يخدم القضية

الوطنية حتى ولو اراد

وقال في جلسة من الجلسات « و بعد ان تهدا الامور وتصبح عادية سنعرف انسب مكان يصلح لهذا لرجل . . . و كان يوءكد بان المجلس الذي كان يجمع في يده السطتين التشريعية والتنفيذية يجب ان يعتمد على نفسه ولا ينتظر المساعدات الخارجية

وفي ذات يوم اعلن بان المجلس التشريعي سيجمع في يده كل السلطات و يصبح هو الحكومة الفعلية ونشر البلاغ ممضياً بامضاء الغازي وافتتحه بهذه لجملة « باسم المجلس القومي الاعلى »

برنامج مصطفى كمال باشا

واظهر الغازي زعامته عند ما املي على المجلس التشريعي البرنامج الآتي وطلب الموافقة عليه ، وهو :

« ان نعمل ضمن حدودنا القومة على سعادة البلاد ورفاهيتها ، معتمدين على كياننا ذاته ، ومواردنا وحدها .

وان لا ندفع الشعب التركي لهاوية الخيال الذي قد يضر بمصالح البلاد الحقيقية او وان نحضه على التعلق بامور نعتقد تمام الاعتقاد باستحالتها . وان نقتبس عن الغرب العادات الغربية الانسانية والتي تدل على الحضارة والرقي

وان تكون علاقاتنا مع الدول على نوعين . علاقات ودية مع الدول التي تريد ان تبادلنا المنافع وتوءيد قضية وتعترف بنهضتنا واهليتنا للحياة الحرة الشريفة وعلاقات غير ودية مع الدول التي تناهضنا وتريد ان تقضي على كياننا وتجرح عزتنا القومية او تقتل طموحنا وسنقابل اعمالها بالمثل نعم سنلاقي الشر بالشر !

الحركة القومية والعراقيل التي وضعت في طريقها

وقد لاقت الحركة القومية في الشهور التالية الصدمات الكثيرة فكانت لاتخرج من صدمة حتى تلاقي صدمة اشد واقوى من الاولى . حتى خيل لمن وهنت عزائمهم بانه

من المستحيل ان تنجو الحركه القومية مما حيك لها من دسائس في الخفاء وانها لن تتخلص من المآزق الحرجة التي تقع فيها الفينة بعد الفينة . وانها ان افلتت من شرك فستقع في شرك آخر فالشرك قد نصبت للقضية القومية في كل مكان

والواقع ان تاريخ الحركة القوميـة في صيف سنة ١٩٢٠ تاريخ مملوء بالنكبات . ملوث بالعار هو تاريخ الظلم . بل من اظلم الادوار التي مرت على تركيا و يكفي ان نقول :

— ان اليونان بدأوا يتقدمون نحو الغرب لما رأوا ضعف الاتراك

— والفرنسيون اخذوا يهددون تركيا في الجنوب

— والارمن يكشرون عن انيابهم في الشرق

وحكومة السلطان تستخدم اسم الخليفة ونفوذه في استفزاز الشعور و كهربة الجو واشعال حرب اهلية دامية في الاناضول بل قد لجأ الذين لم تعمر قلوبهم نعمة الحب للوطن الى اساليب غير شريفة في المقاومة فعمدوا الى حشد الفرق غير المنتظمة وسلحوها بالاسلحة و كانت الاستانة تمدها بالاموال وتنفق عليها عن سعة . وقد اطلقوا عليها قصد السخرية « جيش الخليفة » فكان جيش الخليفة هذا يجتاح المناطق كلها .

وفي ذات يوم استطاع ان يصل الى مكان لا يبعد عن انقره اكثر من عشرين ميلا ! و كان هذا الجيش يلقي من الاهلين احيانا المقاومة . وقامت المدن الكبرى وفي طليعتها قونية وطرابزون بعدم الاعتراف جهاراً بسلطة الحكومة الوطنية القومية واخذت تنتقد رجال الحكم انتقاداً مراً لافتقار البلاد لجيش منظم تمكن الالتجاء اليـه في حفظ النظام في البلاد واستتباب الامن وقسر الناس جميعاً على الطاعـة للقوانين . ولولا ادهم القائد الشركسي الذي قاوم جيش الخليفة مقاومة عنيفة لسقطت انقره في ايدي هؤلاء العصاة و كان ينجم عن سقوط انقره ولا شك واد الحركة القومية وقطع كل امل في نجاحها

مراسلو الصحف الاجنبية

واخذ مراسلو الصحف الاجنبية في الاستانة يبرقون لجرائدهم بان بناء الحركة القومية

اخذ في الانهيار السريع ، وان عظمة الغازي قد بدأت في الافول ولكننا ، كصحافيين نلتمس لزملائنا بعض العذر . والصحافي كما نعلم لا يجب ان يقرر غير ما يشاهده بعينيه فاميال الوطنية شيء ، والحقيقة شيء اخر . فما بالك بالمراسلين الاجانب الذين يراسلون الصحف الاجنبية وهم في الغالب يتحيزون للجانب الاسود اكثر مما يتقربون للناحية البيضاء اللامعة ؟

نقول اننا نلتمس العذر لزملائنا الصحافيين لان المظاهر كانت كلها تدل على ان مركز الغازي من الحروجة بمكان عظيم وان العصوبات التي يصادفها الغازي لم تلاق مثلها في في تاريخ الحركة القومية حتى ذلك الحين

و بربك ماذا تقول في جنرال لا يملك جيشاً

و بربك ماذا تقول في رئيس حكومة لا يعرف الذين يخدمون معه كيف تدار الحكومات ولا يدرون كيف يعاملون الناس و يحافظون على مصالح العباد ؟

و بربك ماذا تقول في زعيم امة لا يملك شيئاً من المال بعد ان صودرت كل امواله التي كان قد اوقفها على الحركة الوطنية وخصصها للدفاع عن الاهلين ووضعها في البنك الزراعي فاستلبت منه استلاباً غير مشروع ؟

هذا هو الغازي الاعزل ، مجرداً من كل قوة غير قوة الايمان ، الغازي الذي لم يكن مزوداً بشيء غير نعمة الثقة غير المحدودة بالنفس . وقديماً قيل ، وما اصدق ما قيل بالايمان تطلبون من هذا الجبل الانتقال والانطراح في البحر فيطيعكم !

لقد فعل الغازي اكثر من نقل جبل فقد نقل امة بجبالها وهضابها ، بسكانها واراضيها، بافكارها وتراثها القديم

* * *

لنعد الآن الى الغازي في ايام محنته . وكم يقاسي الوطنيون في ساعات محنتهم و كم يلاقون من ضروب الاضطهاد قبل ان تكلل هاماتهم باكاليل الفخار وتيجان المجد ! !

واخذ كاظم قره بكير باشا يقود القوة الحربية الوحيدة المنظمة و كان من انصار

المدرسة الشرقية لا المدرسة الغربية

و بدأ بعض نواب الاناضول واشهر وجالها يكونون هيئة اصبحت نواة للمعارضة ، وجبهة قوية المقاومة رجل كانوا يقولون عنه انه « مقدوني » او نصف تركي !

و كان للحكومة ذاتها زمرة خاصة

واخذ جلال الدين عارف نائب رئيس المجلس يسعى لان يوجد لنفسه مركزاً ممتازاً في الاقاليم الشرقية

واخذت هذه الاحجار الثقيلة وغيرها تلقي في طريق التيار القومي ٠ و كادت تصده عن مجراه الاصلي وعلى الاخص عند ما قام بعض القواد غير النظاميين يلقون في المياه الاوحال والاقذار بدلا من ان يزيحوا هذه الاحجار الثقيلة و يطهروا التيار منها

و كان نتيجة هذه العوامل وغيرها ان قام ادهم الشركسي يناهض الغازي في ساعته الحرجة في سنة ١٩٢٠ و يحاول انتزاع القيادة منه ٠ الغازي الذي بات وحيداً ولم يبق معه غير عصمت باشا وفوزي باشا و بعض الاصدقاء الذين يعدون على الاصابع والذين كانوا يعطفون عليه عطفاً اكيداً في محنته و يشاركونه في وجهة نظره و يدافعون عنها

كان ياور الغازي يدخل كل نصف ساعة وفي جعبته الاخبار السوداء عن احتلال جيش الخليفة لمدينة بعد اخرى و كان عليه ان يستعد لترك انقره في اي ساعة والعودة الى سيواس

ولكن الغازي كان يستعد الرحيل و في الوقت نفسه يضع الخطط للمستقبل فلم يتسرب اليأس الى قلبه ٠ كان ينظر بعين الايمان الى المجد الذي ينتظره و كان يفكر في المعارك الدامية التي ستنشب بينه و بين الجماعات الدينية والسياسية الرجعية

مركز الغازي الدقيق

تحقق الغازي انه لم يخطىء عند ما اقام الدنيا على الثعلب وحكومته ورماه بالخيانة هو واتباعه ولكن هذه المعاهدة قد قللت من شأن حكومة استنبول في الوقت الذي رفعت فيه من شأن انقره ٠ فساعدت بذلك على نجاح الحركة القومية التي كانت من

الضعف بحيث كان يؤذيها اقل نسيم

ولكن الغازي لم يكن يريد اضرام الحرب الاهلية في البلاد لانه كان يعلم ان الثورة تلتهم ابناءها قبل ان تلتهم الاعداء ولم ينس مادرسه في كتب التاريخ عن الثورة الفرنسية وما جرى لرجال الثورة الفرنسية التي اوقدوها وذهبوا ضحيتها . فاراد الغازي اذن ان يسير في تؤدة لئلا يبتلعه حوت الثورة او تلتهمه نيرانها التي لا تشفق ولا ترحم

وكان يعاني الغازي الصعاب وعلى الاخص لان النواب كانوا يفسرون احترامه لهم بانه مظهر من مظاهر ضعفه واستسلامه وانه يحق لهم ان يفعلوا ما يحلو لهم بل كان كل نائب من هؤلاء النواب الثلثمائة يعد نفسه جزءاً من ثلثمائة من « الباديشاه »

وذهب بعضهم الى ابعد من هذا فكان يتصور الغازي الذي اوقف نفسه وحياته وامواله على خدمة بلاده العزيزة « خادماً لهم ! »

اما الغازي فكان في سياسته مع النواب مرناً حاذقاً ، بل كان يكبح عواطفه عند ما كانت تثار قضية تستفزه وتثيره . كان الغازي اذن يسترضي النواب ويحاول ان يكيف نفسه تبعاً لارادتهم ليستميلهم اليه ولكنه كان لا يضيع فرصة لاظهار سطوته ونفوذه الا انتهزها بل كان اذا ساعده المجال لقهرهم وارغامهم على قبول مايبديه من الآراء فلا يتأخر ولا يتباطأ

وكثيراً ما كان النواب يحارون في امر هذا الرجل الجبار فهو يظهر لهم احياناً في ثوب الرجل العصري الحر الذي لا يؤمن بغير الاراء العصرية الحرة المتطرفة ولكنهم في احايين اخرى يرونه قد نفض عن نفسه هذا الثوب اللامع وارتدى ثوباً قاتماً هو ثوب التعصب واستمسك بالاراء العتيقة التي لا تتفق مع النهضة العصرية في شيء

اما اصدقاءه فكانوا يخرجونه في بعض الاحايين عن حدود اللياقة فكان لا يبخل عليهم بالاقوال التي تخرسهم وتفحمهم

اما اعداء البلاد فكان لا يصبر عليهم ويصرح لهم ان حالة البلاد لا تحتمل ان يكون فيها خونة ثم يشرح لهم كل شيء ويلهب قلوبهم بنيران الوطنية بل كان يحاول

استفزازهم ليروا الخطر المحدق بالبلاد فيعملوا معه على تلافيه و يطلب منهم ان لا يغتروا بالقوة مهما كانت عظيمة جبارة . و يؤكد لهم ان حرارة القلوب الوطنية لا تقف امامها قوة مادية وانه يجدر بهم الثقة بعدالة قضيتهم و يتفانوا في الدفاع عنها وليكن ما يكن من مصيرهم فليس احلى من الاستشهاد في سبيل الوطن المقدس

هذه الكلمات النارية كانت تحرك هؤلاء وتبعث في الاموات شيئاً من القوة والحياة ثم يخطب في المجتمعات فيبين صلات تركيا الودية وعلاقاتها الحسنة مع بعض الممالك والاحزاب والاشخاص . و كان يريد ان يصل هذا الصوت وان تصل هذه الاخبار الى اعضاء الوزارة الانكليزية ليروا ان تركيا ليست كما يتصورون بمعزل عن العالم . ولا يمكن ان تقف بمعزل عنه ، بل هي موضع اهتمام الناس جميعاً

حذر الغازي وعنايته

و كان الغازي يراعي في كل صغيرة و كبيرة منتهى الحذر والعناية فسمح لادهم الشركسي بان يكون على راس قوة بينما طلب من عصمت باشا ورفعت باشا ان يعملا على تنظيم الجيش تنظيما عصرياً وفي الوقت ذاته سحب ثقته من علي فؤاد باشا الذي كان يتولى القيادة في جبهة اليونان .

الغازي وفؤاد باشا

وفي تلك الاثناء اخذ مركز علي فؤاد باشا يضعف لاستسلامه لليونان وفزعه من كثرة عددهم ومن معداتهم للقتال التي كان يقول بانها اعظم بكثير من معدات الاتراك ولما شعر الغازي بذلك اوفده بمأمورية الى موسكو ووضع في مكانه عصمت باشا ذلك الرجل الوطني الامين الذي كان يثق فيه الغازي ثقة غير محدودة

تحرج الحالة في اواخر سنة ١٩٢٠

واتخذت الحالة في اواخر سنة ١٩٢٠ شكلاً خطراً عندما قام عزت باشا وترأس وفداً

يتكون من اعضاء وزارة توفيق باشا التي كانت تولت الحكم حديثاً والتي كان غرضها الوحيد التوفيق بين الاتراك والحلفاء وتاهيب الجو لاجراء المفاوضات معهم

ولكن الغازي وقف يدافع عن حقوق البلاد فقال ان مفاوضة الحلفاء قبل ان يقدموا الضمانات الكافية لا يعد منا غير استسلام اوخنوع وكان يرى من الناحية الاخرى انه اذا فشل عزت باشا ولم يتحقق الغرض الذي يرمي اليه فان سكان الاناضول الذين ارهقتهم الحرب واضنتهم وافقدتهم كل ما يملكون لا يستطيعون بعد ذلك المقاومة وستحطم شوكتهم وتضيع ثقتهم بانفسهم و يفقدوا روحهم المعنوية والقائد الحكيم يحرص على الروح المعنوية اكثر مما يحرص على اي شيء آخر

فاستطاع الغازي ان ينجو من هذا المازق كما نجا من غيره بحذقه وقدرته . ورفعه بنوعه السياسي الى ارساله رسالة قبل وصول هذا الوفد للمفاوضة يقول فيها ان عزت باشا ومن معه من ممثلي حكومة السلطان سيصلون الى انقره للانضمام للحركة القومية والنضال في سبيل تحرير البلاد من الرق الاجنبي .

فاستقبل الوفد استقبالا وطنياً حاراً ولكن سرعان ما وقفوا على مراميهم فنبذوهم نبذ النواة ولم يكن ما لاقوه بعد ذلك غير جزاء وفاق لا يصيب غير الشرذمة النخرة التي تدع الضعف ينخرها كما ينخر السوس الاسنان الضعيف

ادهم يستغل الموقف

ولما رأى ادهم الشركسي هذا الموقف الذي وقفه الشعب من هذا الوفد اراد ان يستغله اعظم استغلال لمصلحته الذاتية فارسل بلاغاً نهائياً لحكومة انقره يصرح فيه بان البلاد قد اضنتها الحرب وارهقتها واستنزفت دماءها وانها عليلة لا تستطيع ان تحتمل الدخول في نضال جديد . وطلب بشدة عودة عزت باشا الى استنبول ليبدأ المفاوضات السلمية وامضى هذا البلاغ النهائي بهذا الامضاء :

« القائد العام للجيوش الوطنية »

الغازي يلقي القنبلة الاولى

وعند ذلك لم يستطع الغازي الصبر فاراد ان يضرب اعداءه الضربة القاضية بعد ان صبر طويلا

ولما وجد ادهم ان عصابته قد حوصرت وان القوات الوطنية الجديدة المنظمة قد ضربت النطاق حولها خارت قوى ادهم . ولم يستطع ان يستمر في النضال . وتخلى عن البلاد لليونان . وكان عمله هذا خيانة من اكبر الخيانات الوطنية في التاريخ التركي بل يعد ارتداده وتسليمه البلاد لليونان جناية من اكبر الجنايات لا تشرف القواد الاتراك في شيء . وكانت الضربة القاضية عليه فلم تقم له قائمة بعدها

موقعة « اين اوني »

وحدثت موقعة في اوائل سنة ١٩٢١ فصد عصمت باشا القوات اليونانية ونجح في هذه المعركة نجاحاً عظيما وجاء هذا النجاح كدليل قاطع على قوة القوات الوطنية الجديدة من نوع آخر غير الذي اعتادوه من قبل

وزادت هيبة الحركة القومية وامتد نفوذها بعد الحملة القوية التي قام بها كاظم قره بكير باشا ضد الارمن في خريف سنة ١٩٢٠

تلك الحملة العنيفة التي اضعفت من جمهورية اريفان الارمنية والتي كان من نتائجها ان بدأت تركيا تتصل بروسيا . وانتهزت روسيا هذه الفرصة فاخذت تمد الاتراك الذين يحاربون في جهة اليونان بالذخيرة الحربية التي كانوا في مسيس الحاجة اليها

معركة سقاريا الكبرى

وفي اواسط آب سنة ١٩٢١ اخذت القوات اليونانية تتقدم بسرعة نحو انقره وتهدد مركز القيادة التركية العامة ووقعت عدة معارك بين الطرفين امتدت حتى اواخر اب اذ وقف الاتراك في وجه اليونان في سقاريا تلك المعركة الهائلة التي كانت من اعظم

المعارك حيث استبسل فيها الاتراك استبسالا عظيما دل على وطنيتهم وحبهم للاستقلال

وقد استطاع الغازي وار كان حربه تنفيذ البرنامج الذي وضعوه فكانت معركة سقاريا العظيمة التي اثبتت للعالم اجمع ان الاتراك هم قوم اباة النفوس لا يرضخون للحكم الاجنبي وقد نجحوا نجاحا باهراً وصدموا المعتدين تلك الصدمة التي رن صداها في الافاق

و بعدان انتهت هذه المعركة اصبح الغازي معبود الجماهير و بلغ مجده الحربي اعلى الذروة . نعم توطد مركزه بعد ان هبت عليه الزعازع التي كادت تزيحه من كرسيه ليحل آخر مكانه . واصبح بعد تلك الموقعة ارسخ من الصخر بل لم يكن في مقدور احد من الاتراك ان يفكر في مناهضته

تركيا بعد انتصارها العظيم

معاهدة فرنكلان بويون ــ بعثة ايطالية في انقره ــ السياسة المعارضة ــ الهجوم العام ــ بعد اعلان الجمهورية

بدأ الحلفاء يظهرون احترامهم للغازي بعد الفوز الذي فازته القوات الوطنية فارسل الفرنسيون فرنكلن بويون الى انقره وامدوه بسلطة واسعة لان يعقد صلحاً انفرادياً مع الحكومة القومية فدلوا بذلك على مبلغ احترامهم للغازي الذي كان الرئيس الفعلي للبلاد والحاكم المطلق فامضى معاهدة اطلق عليها اسم ذلك المندوب وكان من اهم موادها اخلاء كيلكيا فوفر الغازي على نفسه تدبير نفقات ٨٠ الف جندي تركي كانوا يقفون في وجه الفرنسيين .

ولما رأت ايطاليا سلوك فرنسا هذا عمدت على الفور لتقليدها فارسلت بعثة الى انقره وارسلت موسكو تقديرها العظيم للغازي بايفادها بعثة رسمية

والواقع ان الغازي جعل الناس في مشارق الارض ومغاربها يؤمنون بمواهبه الفذة اذا استثنينا الانكليز الذين كانوا ينتقصون من قدره

المعارضة السياسية

وفي تلك الاثناء بدأ الحسد يدب في قلوب البعض وقويت المعارضة ثم اتخذت شكلا سياسياً فقام اعضاء المجلس يناضلون الغازي في اعماله الاصلاحية في البلاد ، فوقف ذات يوم يدافع عن نفسه في المجلس مستعيناً بالتاريخ

وطلب ان يعودوا بخيالهم الى ما كانت عليه البلاد قبل نصف قرن وليتذكروا ان

الدستور الذي وضعه مدحت باشا لم يكن يقصد منه غير ذر الرماد في عيون الاور بيين

لم يكن يقصد من الدستور العمل على رفع شأن البلاد كما يرغب كل واحد منكم اليوم بل كان الاعضاء يسعون لكسب عطف الغرب على حساب المصالح الشعبية . وهذه خيانة للوطن واي خيانة

ولا اظن واحداً منكم يريد ان يلوث يديه بتهمة العمل على الاضرار بالوطن فكلكم أعمق الرجال وطنية واشدهم اخلاصاً للبلاد !

وقال: اما اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ايها السادة فهم الذين احيوا ذلك الدستور الممسوخ وانعشوه فهم اذن من المجرمين وممن باعوا حقوق البلاد بثمن بخس ايدوا الدستور الذي كان الالة التي يستعين بها الغرب في بسط سلطانه على تركيا وسحقها سحقاً

فانتم ايها الاعضاء الذين في ايديكم ان تصلحوا وان تعمروا ما افسدته تلك الايدي الاثيمة و بناء ما هدمه اولئك الخونة المارقين

(هتاف شديد ونداءات حاره) !!

ثم قال : واذا كان العثمانيون لا يميلون لمناهضة الامتيازات التي يتمتع بها الخليفة والقضاء عليها وحرمانه منها فسنعلم وقتذاك كيف نضرب بيد من حديد وسترون اذا كان يخون عهودنا كيف نحط من شأنه ونذله اذلالا !!

وهنا وقف احد الاعضاء وصرخ : « لبيد الله السلطان ولنقتص منه »

ثم استطرد كلامه وقال « يجب ان يعلم السلطان — اذا كان للان لم يعلم — بانه هو خادم من خدام هذه الامة ، وان الرجل الذي لا يخدم البلاد فالبلاد لا تعترفه ولا تقره على طلبه للرئاسة والمجد !

(هتاف شديد ونداءات عدائية ضد السلطان)

هذا هو كلام الغازي وهذه هي بلاغته الخطابية فهل يستطيع الاعضاء ان يرفعوا اصواتهم بالاحتجاج وهل من الممكن ان يجرأوا على اتهامه بعدم الوطنية المتأججة ؟ كلا ! فقد وجموا وقد عرف كيف يعقد السنتهم بخطاب واحد

قلنا ان الغازي قد قضى على المعارضة في المجلس ولكن المؤامرات السرية كانت مستمرة تفعل فعلها في الخفاء وراء الستار . فكان الاعضاء في الواقع يحرجونه احراجاً عجيباً و يضيقون عليه كل التضييق

وقد دفعت هذه الظروف وغيرها الغازي لان يعجل بتكوين حزب فقضى ربيع سنة ١٩٢٢ و صيفه في اعادة تنظيم الجيش التركي وما ان جاء شهر تموز من تلك السنة حتى كان على تمام الاهبة للنزال والنضال وضرب الاعداء ضربته الاولى

وعرف اليونانيون ان الغازي على وشك ان يضربهم ضربته المميتة فكانوا يهلعون و يظهرون هلعهم جلياً

فشل المفاوضات مع الحلفاء

ولما رأى الغازي ان يوسف كمال بك الذي قصد لندن في شهر آذار قد فشل في مهمته عاد فارسل فتحي بك ليبدأ المفاوضات التمهيدية مع الحكومة الانكليزية ولكنه فشل في مفاوضاته كما فشل يوسف كمال بك من قبله . وقبل مغادرة لندن في الثالث والعشرين من شهر اب ١٩٢٢ اراد ان يظهر امتعاضه مما لاقوه فارسل برقية في كلمة واحدة : « اهجموا » !

الهجوم بعد فشل المفاوضات

هذه الكلمة وحدها قد جعلت اليونانيين يدركون مصيرهم وما سيلحق بهم من انكسار . وكان الغازي منذ العشرين من شهر آب قد لازم مركز رئاسة الجيش ينتظر الاشارة ليبدأ بالهجوم

وفي الصباح الباكر من اليوم السادس والعشرين بدأ الهجوم الذي كان ثمرته استمتاع تركيا بالهدوء وصاح الغازي في جنوده : « الى سواحل البحر الابيض المتوسط ايها الجنود البواسل ! »

وهنا استبسل الجنود وهجموا على صفوف اليونانيين الذين اخذوا يتراجعون امام الاتراك حتى ازمير .

واستسلم القائدان اليونانيان « تريكوبيس ودايونيس » ومد الغازي يده فصافح القائد بحرارة اذ دخل عليه وخاطبه قائلا : اجلس ايها الجنرال فلا بد ان تكون متعبا فالحرب مرهقة ! » وهذا مظهر جميل من مظاهر الشهامة التي تجلت في الغازي في اوقات كثيرة من حياته .

ثم اخذ يتحدث معه بلغة افرنسية ركيكة . واخيراً نهض الغازي والتفت الى وجه خصمه وقال : هل تريد ان تكلفني بشيء لاقوم لك به ؟

فشكره القائد وقال : لا اطلب شيئا غير ان تخبر زوجتي بما حدث !!

فأمسك الغازي بيده في لطف واخذ يعزيه على هزيمته وهو يقول : الحرب قضية يلعب فيها الحظ دوره الاكبر وكثيراً ما يكون خير رجالها اول صرعاها

فأبدى القائد بعض الاشارات التي تدل على مبلغ المه النفسي وقال — اذا كنت ندمت على شيء فهو ندمي لاني لم اقم بواجبي الاخير . « وكان يقصد الانتحار » !

ولما سمع الغازي هذا الحديث تأثر ولم يعجبه ان يكون خصمه بمثل هذه الاخلاق وهذا الضعف .

وتقول خالده اديب خانم التي ننقل عنها هذا الفصل ان الغازي قال لها في هذا الصدد وهو يصف هذه المقابلة

« اني يائس كل اليأس لاني قاتلت عدوا لم يكن جديراً بان انازله واحار به »

* * *

تم الظفر النهائي لتركيا الناهضة . وكان الغازي يعيد النظر عندما صرح بان الشعب التركي سيقاسي ما لا بد ان يقاسيه من الاضطهاد بصبر قبل بلوغ الهدف

وكان على الغازي ان يجني في الحقل السياسي الثمار بعد ان ضحى الشعب التضحيات الغالية واظهر هذه المقدرة الحربية الخارقة

اما الثمر الذي كان ينتظر ان يجنيه الغازي بعد ان بذلت المهج عن طواعية وطيب نفس فهو ان يستمتع الشعب التركي بالاقامة في بلاد « تركية » متجانسة ، تتمتع باوفر قسط من الاستقلال الاقتصادي والسياسي و كان اي شيء غير هذا الاستقلال الكامل الناجز يعد ثمناً بخساً لتلك الذبائح التي قدمت على مذبح الوطن ولكن الحرية كلمة ساحرة غامضة والناس تفسرها تفسيرات شي

واما الغازي فلم يعجز عن تفسيرها التفسير العملي الحقيقي فكان لا يرى ان تكون الحرية العوبة في يد الاحزاب تلهو بها كما يلهو الطفل بحصانه الصغير

فهو اذن لا يود ان يعطي رجال الاحزاب السلاح الذي يقتلون به انفسهم و يقضون على كيانهم السياسي وهو في اول عهده بالرقي ، ولا يريد ان تكون الحرية ملهاة للتظرييين الذين يشتغلون بتوافه الامور عن جوهرها ، فينصرفون الى وضع التعاريف والبحث وراء الالفاظ . فهو يعلم حق العلم انه مهما تقيدنا بالنصوص ، فهناك مجال كبير لتفسيرها وشرحها على لوجه الذي يريده الشارح و يخالف به وجهة نظر واضع النص

وهو في اعماله يجري وراء اللب ولا يرغب في غير الدياسة العملية المجدية ، و كثيراً ماصرح بانه لا يقصد الحرية الخيالية بل يسعى وراء تحقيق الحرية العملية

و كان من الطبيعي ان يهاجم السلطان قبل ان يهاجم غيره بحكم مقامة الذي كان في يوم ما رفيعاً . ولكن الغازي اراد ان ينتقم من الثعلب دون ان يعرض نفسه لانيابه وقد اتيح له ان يقلع هذه نياب بعد زمن قصير

***

ايد السلطان وحيد الدين طلب الحلفاء وهو ان تبعث انقره بوفد الى لوزان

والمقو في على اقتراح كهذا لا يعني غير اظهار تركيا بمظهر الامة النشقة على نفسه امام الاجانب على مائدة المؤتمر فكان من الطبيعي اذن ان يكون هذ القبول سبباً في تسفيه السلطان ووصمه بالجهالة والحمق

وقام الوطنيون يعارضون هذه السياسة الخرقاء التي لا تتفق مع امانيهم

وكان لحسن حظ الغازي ان وافق توفيق باشا رئيس وزارة حكومة السلطان على مشروع ارسال البعثة فباركه وقال له « على بركات الله ! ! . . فكانت نتيجة هذه البركة ان لقي بالمعارضة كلها في احضان الغازي »

اما المعارضون فقد انتهزوا هذه الفرصة ليسدلوا الستار على الماضي — وكم في الماضي من اقذار كنا نحب ونشتهي ان لا نقع فيها — وحمدوا الله واثنوا عليه لهذه النعمة التي جاءتهم من السماء فجأة ، نعمة الرجوع الى صفوف الوطنيين والالتفاف حول قدس الاقداس ! . . .

سرت الروح الوطنية في نفوس اعضاء البرلمان التركي ، وتغلغلت ، حتى انه لم يقم اي معارض عند ما اجهز الغازي على موئسسة تركية عريقة في القدم . . . موئسسة الخلافة . . . الخلافة التي رضخ لها الاتراك نحواً من ستة قرون كاملة . ووقف الغازي يتكلم بصراحته المعهودة قائلا :

« لن يكون في تركيا سلطان بعد اليوم ! ! ان السلطنة يجب ان تذهب يجب ان تقتلع من جذورها ! وان تستأصل استئصالا تاماً ! ! . . . بل يجب ان تمحي ذكراها من روءوسنا »

وفي تلك الليلة اجتمع هو ورفاقه الذين عملوا معه في السنوات الثلاث الاخيرة ، وشربوا نخب النظام الجديد ! وكان « لليو ناضه » اثرها على الغازي فانطلق لسانه في الثناء على اخوانه واخذ يغدق عليهم المدح ويلقبهم بالرفاق الحقيقيين ، والاخوة الصادقين ولم يعد الذين يلتفون حوله لاغراضهم الذاتية ، ومنافعهم الخاصة . ونسي انه لقبهم في يوم من الايام بالكلاب » ! !

واظهر دلائل الامتنان للزعماء الوطنيين الذين وقفوا بجانبه في وقت كانوا يعدون فيه خونة ويعرضون رقابهم لحبال المشانق ، وصدورهم للرصاص ! !

واخذ الاصدقاء يجدون العهود ويظهرن الولاء ويقول المثل التركي :

اسكي دوست دوشمان اولماز » ومعنا : ان الصديق القديم لا يمكن ان يكون عدواً

وقد صدق هذا المثل على الغازي ورفقاته

الغازي يترك حياة المرح

وفي شتاء سنة ١٩٢٢ عندما تأخر عقد الصلح وطالت جلسات موتمر لوزان بدأ الغازي يتخذ اجراءات حاسمة لتنفيذ اصلاحاته الجديدة ، والقضاء على النظام القديم .

وجابهت الغازي المعضلة التي تجابه روساء الحكومات في العالم كله وهي كيف يوفق بين المتناقضين — الحرية والنظام —

كان يعتقد الغازي ان الشعب هو مصدر كل سيادة ، فاذا انفرد في الحكم فان ابناء الشعب هم الذين وضعوا فيه ثقتهم وابزلوا المكان الاسمي من قلوبهم ! . .

برنامج الاصلاح

وبدأ الغازي يطوف في انحاء تركيا فكان يستقبل استقبال الغازي المنتصر ولم تر تركيا حفلات شعبية كالتي اقيمت للغازي وكان من الممكن ان ينتهز هذه الفرصة النادرة فيعلن الديكتاتورية الحربية وكان اعلانه الديكتاتورية — اذا كان حقاً قد اقدم على اعلانها — لا يخالف العقلية التركية والتقاليد . فالتركي يميل لمن يستبد فيه استبداداً عادلا وبتحكم في اراداته على ان ينصفه

ولكنه امتنع في ذلك الحين اعتقاداً منه ان الجيش يجب ان يظل بعيداً عن السياسة وفضل هذه الحماسة المتقدة التي يبديها الشعب فيكون منه حزباً سياسياً ، يستعين به على التحكم في اعضاء المجالس

وشرح الغازي وجهة نظره فقال :

ان النصر الحربي لا يكفي وحده لضمان النجاح في المستقبل فلا بد ان يصحب النجاح الحربي التقدم السياسي والاداري

وبدأ الغازي يفكر الاصلاح وصبغ تركيا بالصبغة الاوروبية . وكان الاصلاح يتطلب ولا شك وضع برنامج شامل والبرنامج الدقيق لا يقوم به على وجه مرضي الا

لجنة فنية تتكون من افراد على اكبر جانب من الثقافة . والاوفق انتخاب هؤلاء الافراد من الحزب الذي يمثل الاكثرية . ولهذا رأى الغازي ان تختار لجنة فنية من حزب الشعب

وكان الغازي يريد تطبيق فلسفة العلوم السياسية الانكوسكونية الموافقة للذوق السليم ولكنه وجد ان المؤلفات المعربة التي وضعت في هذه العلوم من الندرة بحيث لا تساعد على سهولة الاخذ بها

ويمكن ان نقول ان الغازي كان يستمد قوته من حزب الشعب منذ انتخابات صيف سنة ١٩٢٣ وكانت مدة ديكتاتوريته اربع سنوات وهي المدة التي يعمرها البرلمان التركي .

عصمت باشا

وطالت المفاوضات التي كانت تجري في لوزان فاستغرقت طوال فصل الشتاء وتبرم الناس فاتهموا عصمت باشا بانه من المفاوضين الذين يحنون رؤوسهم امام القوة وانه على تمام الاستعداد لامضاء معاهدة سيفر الثانية .

ولكن عصمت باشا كان سلباً والدليل على صلابته ان اللورد كيرزون في الرابع من شهر شباط من السنة ـ (١٩٢٣) ـ حاول استمالة عصمت باشا فاخفق وحاول اخضاعه فعجز

واصر عصمت باشا على الاحتفاظ بحقوق البلاد تامة غير منقوصة . وكان يزداد اصراراً كلما ازداد الشعب امعاناً في اتهامه بالاسترخاء السياسي وبيع الوطن ! ..

وترك لندن بعد ان اظهر اشد الامتعاض لمن كان يفاوضهم من الانكليز . وكان الغازي هو الذي يقوي عصمت باشا ويبعث اليه بالمعلومات ويشدد عزيمته

خطبة للغازي

وعاد عصمت باشا فعقد الغازي المجلس وخطب في اعضائه خطبة معتدلة دلت على

ان الغازي يراعي عواطف الشعوب و يتجنب القول الذي يمس الامم الاخرى ، فا كد في كلام واضح رغبة تر كيا في السلام والهدوء ، وانها على تمام الاستعداد لان تقيم علاقات ودية مع اى مملكة تمد لها غصن الزيتون ولكنها حينما ترى ان الدول تفهم ان هذه المجاملات السياسة مظهر من مظاهر الضعف والاستكانة تبادر الى اتخاذ التدابير التي تبرهن على عكس ذلك . وا كد استعداد تر كيا للحرب في اي وقت اذا رأت ان الضرورة تحتم عليها الحرب . ثم تطلع الى وجوه الاعضاء واطال التحقيق فيها. وقال :

وان بلادكم ايها النواب اذا دخلت في حرب فسيكون النصر ولا شك حليفها ما دام الشعب يثق بمقدرته الحقيقية وما دامت البلاد تتمسك بميثاقها القومي وتحافظ على دستورها الذي قضى على سيادة الفرد ووضعها في الامة ! (هتاف متواصل)

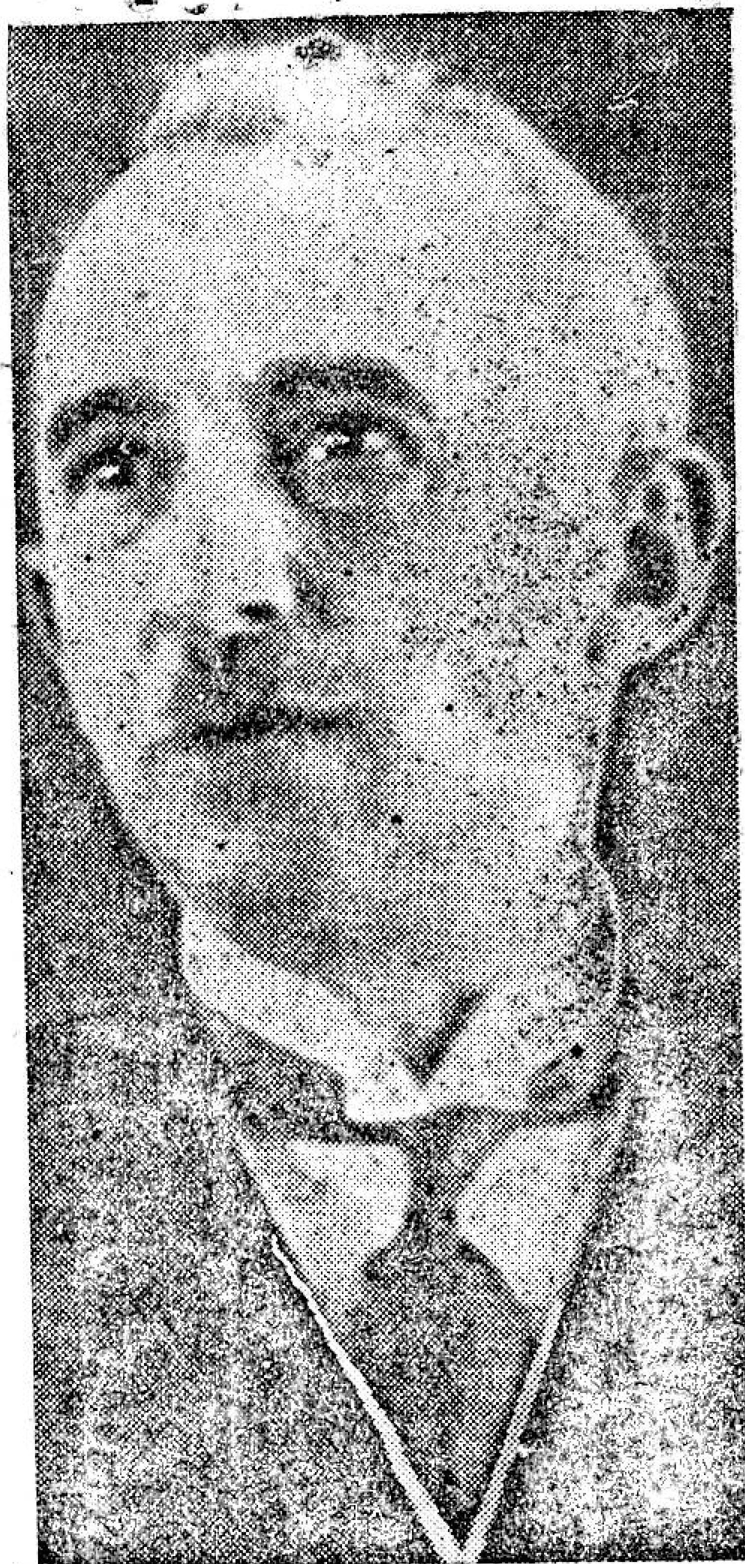
ظروف طيبة

وطرأت بعض الظروف التي ساعدت تر كيا على تحسين سمعتها في الخارج فبدأ اللورد رودزمير ينشر المقالات الضافية في جرائده العديدة وعلى الاخص « الديلي ميل » وصندى ديسباتش طالباً الاسراع بعقد الصلح مع تر كيا . كما ان رئيس وزراء هنغاريا زار انقره يحمل للغازي اعجاب سكان بودابست به ، ولا سيا بطريقته التي اتخذها في معالجة ساسة اوربا الخبثاء

واعتماداً على هذا التشجيع وقف الغازي في المجلس يستنكر التهمة التي يتهم بها وهي انه يسعى لحكم البلاد حكما ديكتاتوريا وتقول بصراحة ان ديكتاتورية كهذه سواء كانت ديكتاتوريته او ديكتاتورية غيره لن تعمر طويلا في بلاد تشبعت بالميل للحرية وتأصلت فيها الروح الديموقراطية . هتاف شديد

ان تر كيا لن تقبل الا ان يكون الشعب التركي وحده صاحب السيادة المطلقة ! .

(هتاف شديد متواصل) !



عصمت باشا رئيس الوزارة التركية

و بدأ المجلس الوطني اعماله بتصديق معاهدة لوزان الذي وصفها الغازي مصطفى كمال بفصاحته المعهودة بانها اعظم نصر ديبلوماتيكي دونه التاريخ

و كان اعظم عمل قام به عصمت باشا هو الغاء الامتيازات الاجنبية · ذلك العمل الباهر الذي جعل تركيا تجد نفسها في حالة افضل بكثير من حالتها قبل الحرب

— في عهد السلطنة العثمانية

وان الفوز العجيب الذي فازه الغازي يرجع الى مقدرته الشخصية ، فقد تمكن بحذقه وبراعته من الوصول الى مكانة لم يحلم بها في اية ساعة من ساعات المنام لا ساعات اليقظة فحسب . واما الاعمال التي قام بها عصمت باشا فالفضل فيها للغازي قبل ان يكون لعصمت باشا فالغازي هو الذي امده بالاراء السياسية الناضجة وطلب اليه الاصرار والعناد — وهما كما نعلم من اهم مميزات الرجل التركي القح — كما ان التركي الصميم يمتاز ايضاً بالصبر والتأني .

وعندما رحبت انقره رسمياً بعصمت باشا ولقبه الناس « المنتصر في لوزان » استقال روؤوف بك من منصب رئاسة الوزارة وحل مكانه فتحي بك

الخليفة في عربته

واما الخليفة ، فانه بالرغم من الغاء السلطنة ظل يحتفظ بحاشيته في استنبول وكان لا يزال الاتراك يظهرون له الولاء الذي اعتادوا ان يظهروه لافراد الاسرة العثمانية الملكية كما ان العالم الاسلامي كله كان يرى حتى ذلك الحين انه الزعيم الروحي له

وعبد المجيد الذي تبوأ هذا المقام الرفيع كان يختلف عن السلطان الذي قبله . كان عبد المجيد مثقفاً مستنيراً . وكان يصلح لان يلعب دور الحاكم الدستوري في تركيا وكان يباهي باسلاميته وبانها لا تنافي الافكار الحرة العصرية فكان محبوباً اذن عند المعتدلين

اعلان الجمهورية

وحدث في الثامن والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٣ ان عقد اجتماعاً هاما في قصر (شان قايا) حضره كبار رجالات تركيا الوطنيين وقرروا في هذا الاجتماع اعلان الحكم الجمهوري

وفي صباح اليوم الثاني انعقد المجلس الوطني الكبير وبعد مناقشة طفيفة وافق الاعضاء

على اعلان الجمهورية وقد تخلف ٤٠ عضواً من النواب بينهم رؤوف بك وغيره من زعماء المعارضة وانتخب الغازي رئيساً للجمهورية وهو منذ ذلك الحين يتمتع بسيادة ثابتة مطلقة .

واخيراً تمكن الغازي من جمع السلطة الواسعة في يده واصبحت له السيادة المطلقة ولولاها لما ظهرت مميزته التي تفرد بها وفي مقدمتها :

— الطموح الذي لا يعرف له مقر

— الوطنية الصادقة التي لا تحتاج الى دليل

— الحماسة المتأججة التي كان يخشى ان تحرق صاحبها حرقا

ومن النادر ان تجتمع هذه الصفات في فرد واحد كما اجتمعت في الغازي

والواقع ان الناس في العالم كله ليستغربون كيف جمع هذا الرجل ميزات (الاسيوي) و (الاوربي) معا .

معالجة الخلافة بالاستئصال

وحان دور معالجة شؤون الخلافة فلم يجد الغازي وسيلة غير استئصالها من جذورها

وفي صبيحة اليوم الخامس من شهر اذار سنة ١٩٢٤ جاءت بعض السيارات الى قصر الخليفة في الاستانة وحملته هو وعائلته الى الحدود ... الى المنفى !! ...

وقد اثار هذا النفي الفجائي ضجة في تركيا والف الغازي محاكم الاستقلال في المدن التركية الكبرى استعداداً للطوارىء وقمعاً للفتن !

والواقع ان هذه المحاكم كانت تلقي الهلع في القلوب لانها كانت بمثابة آلات لا تصنع غير العدل الخشن الجاف . وكانت تتألف الواحدة من قاضيين وثلاثة من نواب حزب الشعب والمدعي العام في المحاكم

وقام المعارضون بفتن في السنة الاولى التي بدأ الغازي يوم فيها باصلاحاته الجديدة . فوقعت المؤولية على البشوات الثلاثة : كاظم قره بكير باشا ورأفت باشا وعلي فؤاد

باشا الذين عارضوا الغازي معارضة علنية و كونوا حزب الترقي

حزب الترقي الجمهوري

- ما اجمل هذا الاسم « حزب الترقي الجمهوري » كم تخدع الاسماء حزب الترقي ابعد ما يكون عن قبول الاصلاحات العصرية وحزب « الاحرار » وحزب « الاستقلال » اسماء ضخمة ! ... جوفاء ...

لم يؤيد اعضاء حزب الترقي مشروعاً واحداً من المشاريع العمرانية التي قام بها الغازي اما اعضاء هذا الحزب فهم من الجماعة الذين يمقتون التبديل ، و يميلون للاحتفاظ بالقديم . يرغبون في الكسل ولا يحلو لهم الا صرف الوقت في تدخين النرجيلة ! وتحريك حبات السبحة

نشاط حركة الاكراد

وانتهز الاكراد هذه الفرصة فضاعفوا من نشاطهم وسعوا سعياً حثيثاً في تأييد وتغذية حركة الانقسام الظاهرة التي كانت بين انقره ولاستانة وكان غرضهم من ذلك مناهضة الجمهورية
اما العوامل التي ولدت نقمة الاكراد على الغازي فكثيرة . فهي عوامل جنسية واقتصادية هذه العوامل التي تفاعلت معاً فولدت نقمة ما بعدها من نقمة على سياسة انقره العصرية
و كان بعض زعماء الاتراك ، يمقتون سياسة الغازي هذه التي ترمي الى توحيد السلطة وجمعها في يد حكومة مركزية قوية . واعتقدوا ان سياسة كهذه ستقضي لا محالة على ما كانوا يتمتعون به في ايام السلطان من الحكم الاقطاعي فكانوا ينعمون بشبه الحكم الذاتي في اقطاعياتهم . وصمموا على ان يحاولوا على المحافظة على امتيازاتهم القديمة عن طريق حرب الاهلية
اما الجمهورية الفتية فقد تضعضعت من جراء هذه الصدمة العنيفة ولكن الغازي الذي استطاع ان يتغلب على العراقيل الكثيرة لم يكن ليعجز عن قمع فتنة الاكراد هذه . فلم يمض اكثر من شهر حتى كانت يده الحديدية قد قمعتها بعض الشيء

* * *

واظهر الغازي في تلك الايام من متانة العزيمة ما لم يظهره في اي وقت آخر

ولم ينته الشهر الثاني حتى كانت جيوش الجمهورية قد طوقت المناطق التي يحتمي فيها الثوار ومع ان زعيم الاكراد الشيخ سعيد هرب بحياته في اول الامر الا انهم عادوا فقبضوا عليه . وفي شهر حزيران نفذ فيه الشنق علنا امام الجماهير

وفي صيف سنة ١٩٢٣ اغلقت محكمة الاستقلال اديرة الدراويش مبررة عملها ببعض نصوص قرآنية كريمة تقول بان الديانة الاسلامية لا تنص على ضرورة وجود اديرة في الاسلام

***

نجح مصطفى كمال نجاحاً بعيداً في خلق جو اجتماعي عصري في تركيا ، ولكنه لم يكتف بذلك بل رغب رغبة صادقة في تبديل القوانين وصبغها بالصبغة العصرية ولهذا حصر كل جهوده في دراسة القوانين وتنظيم شؤون الحكومة

اما عصمت باشا فكان قد صرح في مؤتمر لوزان ان الخطوة التالية لالغاء الامتيازات الاجنبية انما هي جعل القانون التركي قانوناً عصرياً بحيث لا يستطيع اي اوربي ان يجد فيه نقصا

وكانت القوانين التركية القديمة اقرب للروح الدينية منها للروح القومية فجاء الخليفة وابدل هذه القوانين فاتاح بذلك لمن يخلفه وضع القوانين المشابهة للقوانين الاوربية

ولم يترك مصطفى كمال وسيلة من الوسائل لجعل شكل الحكم الجمهوري اوربيا بحتا الا واتخذها واستعان بها

وكان من الطبيعي ان يبدأ المعارضون يتهامسون ويتفاوضون في هذه البدع الجديدة ، التي لا تنقطع ، ويعجبون من جرأة الغازي في مجابهة الامة كل يوم بحدث جديد

الغازي والقوانين التركية العصرية

وكان رئيس البلاد يسعى لوضع القانون المدني التركي على نمط القانون المدني السويسري . وصمم على القضاء على المعارضة قضاء تاما ولهذا خطب خطبة حماسية متقدة قال فيها :

« كنت اظن اننا لم نعد في حاجة الى تكرار ما سبق ان اكدناه من ان الشعب هو صاحب السيادة المطلقة ! (هتاف)

واذا كان البعض ينتفعون من وراء تدخلهم في كل مشروع نرمي من ورائه اصلاح البلاد وتقدمها حتي تبلغ الشأو الذي نريده فاننا ننذرهم بأننا لن نسمح بالمعارضة على اي صورة كانت . . .

اقول هذا ، على الاخص لبعض رجال المحاماة الذين لا يحلو لهم الا المعارضة . هؤلاء المعارضون الذين يدعون انهم يعرفون اكثر من غيرهم والواقع انهم ليسوا على شيء من الفطنة ولو كانوا اذكياء حقا لما خالفوا الدستور الذي ينص صراحة على ان الشعب التركي هو صاحب السيادة المطلقه (هتاف)

وقد آن للمحامين الذين تلقوا علومهم في اوربا ان يحكموا عواطفهم نطلب منهم ان لا يتحيزوا للخلافة تحيزاً اعمى

ان قضية الوطن فوق قضية الخلافة . . . (هتاف شديد)

اننا نقر بمقدرتهم على الدفاع ، وقد يكون دفاعهم الحار مفيداً لو كانت قضية فرد او افراد - ولكننا يا حضرات السادة امام قضية هي قضية البلاد بأسرها (هتاف شديد متواصل)

نقول لهم صراحة اربحوا من وراء عمل آخر غير هذا العمل القذر . نطلب منهم ان يجنوا ما يريدن ، ولكن ليتركوا رجال الامة الذين يخلصون لها يعملون في سبيل تحريرها ورقيها

« وليعلموا انهم اذا استمروا في معارضتهم فلن نتبطأ عن الاقتصاص منهم دون ان تدخلنا شفقة او رحمة . ان النظام التركي العصري لا يتفق اي اتفاق مع طرق الحكم القديمة . لقد اصبحنا ننزع في حكمنا للبلاد نحو « العاطفة القومية » قبل ان ننزع نحو « العاطفة الروحية »

« نريد ان تنتشر العلوم الغربية . ونود الانتفاع بمدنية الغرب اكبر انتفاع ممكن

ونحاول ان تكون صلاتنا الدولية خير الصلات

« اننا نعرف ماذا يفيد البلاد وماذا يضرها وسنعمل على ما يفيدها . وسنعمل بقوة سنقضي على كل عقبة تقف في طريقنا . ولن نهدأ بالا الا اذا وجدنا بلادنا في مصاف الدول الحرة « هتاف متواصل » اه

ولا نخال القاريء في حاجة الى تبيان الاثر العميق الذي تركته هذه الخطبة النارية في النفوس وكانت هذه الخطبة كافية لان تفتت المعارضة تفتيتا وتسحقها سحقا

وقد قضت هذه الخطبة على المعارضة القوية التي كانت في المجلس . ويكفي ان نقول ان هذه الخطبة قد جعلت اعضاء المجلس الوطني الكبير يوافقون على تطبيق مواد الدستور السويسري المدينة -- في جلسة واحدة !! والاهم من هذا انهم قد قبلوا هذه المواد « بالاجماع »

انتخابات صيف سنة ١٩٢٧

وحدثت الانتخابات العامة في صيف سنة ١٩٢٧ وكانت انتصاراً باهراً للحزب الذي كان يترأسه الغازي وهو حزب الشعب . وهذا الفوز الانتخابي يعد تاما عند ما تتذكر ان القانون الجديد لم يسمح ببقاء غير هذا الحزب من بين الاحزاب الاخرى كلها

وقبل ان يلتئم المجلس الوطني الكبير طلب مصطفى كمال عقد موءتمر من اعضاء الحزب ومن النواب وكان يريد من عقد هذا المؤتمر ان يشرح سياسة البلاد الاقتصادية والعلمية والاجتماعية والسياسية ويفهم النواب خطورة المسوءوليات الملقاة على عواتقهم . وليشعرهم بصورة واضحة على أنهم نواب لهم كرامة ، وانهم ينطقون باسم الشعب ، وهم وحدهم الذين يمثلونه ادق تمثيل

خطاب الغازي في المؤتمر

ولما عقد المؤتمر افتتحه الغازي بخطاب يعد بلا مراء اطول خطاب في تاريخ الخطب بها من يوم ان فكر الناس في القاء الخطب

و كيف لا يكون اطول خطاب التي في التاريخ وقد قضى الغازي يخطب ٣٦ ساعة و ٣٣ دقيقة ! ! ! و كيف لا يكون اطول خطاب وقد استغرق اسبوعا كاملا اي ٦ ساعات في اليوم !

ومما قاله الغازي في خطابه :

ان القوات السياسية والادبية والاقتصادية تعمل على هدم هذا الصرح الشاهق الذي شيدناه ولكننا سنقضي عليهم قبل ان يهدموا حجراً واحداً منه · وان مصير البلاد في ايدي الجيل الحاضر ·ان تركيا الحديثة هي تركة لاتقدر بثمن سيتمتع بها الشبان والشابات وابناء الجمهورية الذين لم يولدوا بعد

وكانت خاتمة الخطاب التاريخي موءثرة بدرجة ان ابكت الحاضرين : ووقع الخطاب الذي يلقى في جو خاص غير وقعه عندما يقرأ كما يقول الناس جميعاً لكننا مع هذا ننقل جملة واحدة من تلك الجمل الرقيقة الحساسة التي ختم بها خطابه التاريخي قال :

— وان الشعب التركي الذي ضحى بما ضحى ليصل الى حالته الراهنة وليوجد لنفسه مكانه تحت الشمس لن يموت · · · »

روءساء المعاوضة

وسرعان ما اشتهر روءوف بك بانه رئيس المعارضين الاكبر وقد وضع نفسه على رأس المعارضين وهم جماعة من الناس الموتورين او الذين كانوا يطمعون في بعض المراكز الرفيعة فشاءت الظروف ان تحرمهم منها فنقموا على الغازي شر نقمة

اما رأفت باشا فكان يرمي من وراء المعارضة الانتصار للحركات اللاقومية فكان من انصار « الدولية » اي من الذين يعتقدون ان اي مكان من العالم وطناً له · وكانت الدولية في ذلك الحين فكرة خيالية ولهذا كانوا يقولون عنه انه هوائي كثير التخيلات

اما علي فوءاد باشا فكان لا يطيق ان يسمع بنجاح الصاعقة الغازي فكان رجلا طموحاً الى ابعد حدود الطموح · والطموح حده لا يكفي فلابد من المقدرة والسعد »

واما كاظم قره بكير باشا فكان يتسلى على « الفيولين » — وان كان لايجيد العزف وكان يحاول ان يتحكم في جماعته — على الاقل — فكان يعجز عن ادارتهم فتتضاعف احزانه فيعمد الى التخفيف عن نفسه بالعزف . وكم تزيل الآلات الموسيقية من هموم وكم لها من الفضل في تخفيف الكروب وتسلية المحزونين ! . . .

المؤامرة على الغازي

وحدثت مؤامرة كبرى يراد منها اغتيال حيا الغازي ولكنها انكشفت وعرف بها وهو في ازمير وكان من جراء هذه المحاولة لاغتياله ان علق على المشانق احد عشر شخصاً من النواب وحوكم مئات عديدة من الرجال أرسل العدد الاكبر منهم للسجون اما البشوات الثلاثة كاظم قره بكير باشا ورأفت باشا وعلي فؤاد باشا فقد كانوا سيضمونهم الى هذه الفئة السوداء الا ان التهمة لم تثبت عليهم فعاقبوهم بالحرمان من الحرية وعدم السماح لهم بالتدخيل في شؤون البلاد العامة

مشكلة اللغة

وكان اهم ما يريده الغازي هو ان تكون اللغة عربة مريحة لنقل الافكار الاوربية الى تركيا الشرقية . كان يحاول تصفيتها ، من الكلمات العربية والفارسية
وحرم التكلم باليونانية او الارمنية او العربية كما ان اليونانية لم تعد تستطيع منافسة التركية في الاسواق التجارية

الحروف اللاتينية

امامشكلة الحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية فالغازي لم يخطيء في نظر الغربيين مع اعترافهم بضخامة هذا التبديل
ولقد وقف السلطان عبد الحميد على ميزات هذا التدبير الخطير ، ذلك الرجل الذي بقدر ما كان خبيثاً كان في الوقت ذاته ذكياً وهو وان كان قد جبن ولم ينفذ هذا

المشروع فما ذلك الا لانه كان يعتبر ان مشروعاً كهذا لا بد ان يلاقي مقاومة هائلة من الشعب كان يقول هذا القول وهو يعلم ان البلاد كلها تحت امرته ، يتصرف فيها كما يتصرف مع الاغنام

وهذا المشروع كبقية المشاريع التي تمت على يد الغازي قد وضعت في طريقه العراقيل الكثيرة . وفي مقدمة هذه العراقيل ان هذا المشروع كان ضربة قوية للصحافة ولكن الغازي اراد ان يعوض على الصحافيين شيئاً من الخسائر فامر بصرف الاعانات المالية لكل الصحف التي تؤيد هذا المشروع

و بعد ثلاثة شهور عرض الغازي الاقتراح سيما على المجلس الوطني الكبير

و كانت صلاة الغازي الوحيدة الصباحية والمسائية لا تخرج عن هذا المعنى :

ربي ارزق شعبي العقل لكي يدرك قيمة المجهودات التي ابذلها في تحسين حالته ورفع شأنه والغازي مهما قيل فيه فلا يمكن ان ننكر عليه انه قاد الشعب بيده في كل صغيرة و كبيرة

اول خطبة تركية بالراديو

وخطب الغازي اول خطبة نقلت بالراديو اكد فيها ان الاصلاح الجديد الذي ادخله ليس بالاصلاح التافه كما يظن البعض بل هو جزء جوهري من الاصلاح الشامل العام الذي يرمي من ورائه الى تمدين تركيا وصبغها بالصبغة العصرية

واكد ان تركيا لا يمكن ان تكون في عداد الامم المتمدينة الا اذا اخذت به ولا يمكن تفعل ذلك الا اذا آمن الشعب التركي باهمية المشروع و بانه ليس بالكمالي

ولا نحتاج القول بان اعضاء المجلس الذي وقع الاختيار عليهم في انتخابات ١٩٢٧ و كانوا من حزب الشعب ، وافقوا على هذا المشروع كما وافقوا على المشاريع الاخرى دون ان يبدوا شيئاً من المعارضة

وتم الاتفاق بالاجماع على ان يكون الاول من شهر حزيران سنة ١٩٢٩ آخر موعد لتعلم الحروف اللاتينية و يحرم في ذلك اليوم استعمال الحروف العربية تحريماً باتاً .

سواء كان في الكتابة العادية او في الطباعة

وعلى هذا فلم تمض اكثر من عشرة شهور حتى تم الانقلال العجيب الذي يعد في .مة الانقلابات التي حدثت في تركيا

واصلاحاً كهذا من شأنه تبطيل المطابع وعدم الانتفاع بالحروف العربية . ولكن هذه الخسارة الادبية لا تعد شيئاً بجانب ضياع الوقت في تعلم حروف جديدة . لقد وجد الاتراك انفسهم اطفالا من جديد

* * *

ولقد انتظر الغازي حتى تم انعقاده اول موءتمر من علماء اللغة الاتراك في مدينة باكو ليقف على وجهه نظرهم . فرأى انهم قد قرروا بالاجماع الاستعانة بالحروف اللاتينية وتطبيقها على اللغة التركية العامة التي يتكلمها الاتراك في كل آسيا

وبعد ان اتقن مصطفى كمال هذه الدروس اراد ان يفرضها فرضاً على اربعة عشر مليوناً من المواطنين

وكان الغازي يوءمن ايماناً لا يداخله ادنى ريب انه طالما التركية تكتب من اليمين للشمال لا من الشمال لليمين كما تكتب الحروف اللاتينية فلا يمكن ان تفيد البلاد في شيء من حيث نشر العلوم الغربية وكان الاتراك يرون ان اللغة العربية من الصعوبة بحيث تقف حاجزاً في طريق نشر الكتابة والقراءة بين العامة

وقد بدأ مصطفى كمال يكتب الرسائل لاصدقائه بالحروف اللاتينية ثم ظهرت « تورك بوسته لري » على طوابع البريد . ثم ادخلت في الكليات الحكومية واخذت تستعمل في تدريس العلوم والفنون

واخيراً في شهر اب سنة ١٩٢٨ بينما كان رجال الحكومة يصطافون على ضفاف البسفور يتمتعون بايام من اسعد ايام السنة خطب مصطفى كمال فيهم خطبة ضافية واكد ضرورة استعمال هذه الحروف الجديدة وصرف شهور الصيف كلها بنشر الدعاية العريضة لهذه الحروف .

اما قصتنا عن الغازي فقد اوشكت ان تختم فصولها لا لان الحوادث الجديدة لم تعد تستحق التدوين ولكن لانه لم يمر عليها الزمن الكافي الذي يسمح بالحكم على الاشياء حكما صحيحاً

ويكفي ان نقول عن الغازي انه يحكم تركيا الحديثة اليوم وهو يتمتع بسلطة لم يتمتع بها اي حاكم آخر طوال القرون الماضية ... وان سلطته غير قائمة الآن على القسوة والاستبداد كما كانت قائمة في اول عهده بالحكم يوم كان يفعل ما يريد ان يفعل دون ان يخشى « النمل » الذي يسير امامه ومن حوله ومن خلفه

ولسنا ندعي اننا من كبار المنجمين او من صغارهم ولكنا مع هذا نستطيع ان نتنبأ عن المستقبل بعض النبوءات بعد ان تعمقنا في دراسة هذه الشخصية الفذة كل هذا التعمق

واذا كنا قد عنينا بهذه الشخصية الفذة كل هذه العناية فاننا لم نفعل هذا اكراماً لسواد عيون فرد فدراسة الفرد مهما لاقت من عناية لا يجب ان تلقي جزءاً ضئيلا من العناية التي تلقاها دراسة امته فاذا كنا قد عنينا بالغازي فانما فعلنا ذلك لاننا نعتقد اعتقاداً جازماً لا يداخله ريب انه أمة في رجل او رجل في امة .

اجل . قد تكون ايها القارىء العزيز في شوق لان تقف على مصير « الغازي » فنقول لك صراحة ان اي رصاصة تصوب الى صدره او اي قنبلة تقذف في طريقه من يد سفاك اثيم — لا سمح الله — ونحن نتضرع الى الله تعالى ان يحفظه ويقيه — ستختم اعمال اعظم رجل انجبته تركيا والشرق حتى اليوم

اما ماذا يحدث بعد وفاته — بعد عمر طويل — فلا يستطيع اكبر منجم ان يتنبأ عن مصير تركيا من بعده .

ولكن بعد ان درسنا تاريخ الجمعية الثورية التركية نستطيع ان نؤكد ان التركي بطبيعته لا يجيد فن التآمر السياسي كما يتقنه الاميركي او الاوروبي . وعليه فاكبر الظن ان الغازي لن يموت الا موتاً طبيعيا في فراشه

والغازي يعني عناية خاصة بالجيش لانه يعلم اكثر من من غيره من الاتراك ان المعارضة مهما كانت قوية فاثرها ضئيل ما دام قلب الجيش في يده القوية و ينزل عند امرته

وهناك بعض الدلائل التي تدل على ان البعض ما زالوا يدسون الدسائس للغازي سراً ولا يخلصون له اخلاصاً حقيقياً . ولكن هيبة الغازي في الوقت الحاضر وشدة نفوذه واخلاص السواد الاعظم من الشعب لا يجعلنا نتوجس خيفة من هذه الدسائس الصغيرة التي تدس له في الخفاء . ولهذا لا ننتظر نجاح هذه الدسائس النجاح الذي يحلم به هؤلاء الضباط الصغار

* * *

بذل الغازي المجهودات العديدة في صبغ الشؤون التجارية بالصبغة التركية . فاخطر مثلا الشركات الاجنبية كلها لاستعمال القيود التركية واستخدام موظفيها من الاتراك مهما كانت مؤهلاتهم ومقدرتهم . فلا بد انتقاؤه في المائة من الموظفين من بين اليق الاتراك الموجودين . كما انه عمم استعمال المقاييس المترية والموازين والمكاييل العالمية

واما المجهودات التي بذلها الغازي لجعل تركيا كتلة متجانسة بدلا من وحدات متناثرة متعددة لا تربطها اي رابطة غير الولاء للسلطان فقد اثرت اثرها السيء اذ قضت على جزء من يسر الاستانة وازمير واناضول

ومما زاد في خطورة هذه الحالة تعمد الغازي لتحرير تركيا من كل نفوذ اجنبي

وان كل من له اي المام بتاريخ الاستعمار الاقتصادي الاوروبي للشرق في القرن التاسع عشر لا بد ان يعطف العطف كله على تركيا لالتجائها الى اتخاذ هذه السياسة .

ولقد فشل السويديون الذين اخذوا على عاتقهم مد السكك الحديدية في تركيا الحديثة وفشل البلجيكيون الذين بدأوا يؤسسون مصانع خاصة بالكبريت . والبولونيون الذين ارادوا احتكار صناعة المواد الكحولية والاسبيرتو قد فشلوا ايضاً

والغازي لم يعد يشجع احداً من الاجانب الذين يريدون ان يخدموا انفسهم و يخدموا البلاد اقتصادياً بل كان يعد وجودهم من الاشياء غير المرغوب فيها كثيراً

هذه هي الروح التي يظهرها الغازي لطبقات الشعب ليشعر الناس جميعاً شعوراً عميقاً ان الشعب هو صاحب السيادة المطلقة

وقد الغى الانتخاب الذي من درجتين وجعله من درجة واحدة منذ سنة ١٩٣١ كما انه سمح للنساء بحق الانتخاب وهي خطوة جريئة الجرأة كلها وتدل على مبلغ تقديره للجنس النسوي ولن يمضي طويلا حتى يكون في المجلس الوطني الكبير اعضاء من خيرة السيدات التركية يشتركن مع الرجال في تحمل اعباء ادارة البلاد أدارة برلمانيـة كما تفعل الامم الحيه التى تتمتع بالدساتير والبرلمانات الحرة

ووجود الغازي ذاته يبعث في آسيا كلها وفي الشرق باسره روحاً جديدة . روح الاقدام والرغبة الحارة لان تأخذ الاقطار الشرقية بهذه الدول الفتية الناهضة !

وسيحكم التاريخ في المستقبل على تركيا وسيرى الغربيون اما ان الدول الشرقيـة صالحة للحياة الحرة خليقة بالاستمتاع بالحياة الطليقة المرفهة التي يتمتع بها الغربيون او تكون النكبات التي تحدث في تركيا — لاسمح الله — برهاناً جديداً يضيفه الغربيون الى براهينهم العديدة على ان الشرق لا يعرف التطور المنظم والرقي المضطرد

ولكننا نتمنى من اعماق قلوبنا ويتمنى معنا كل رجل وامرأة يعتز بشرقيته او تتباهى بشرقيتها ان تنجح هذه التجربة التي يقوم بها الغازي

والغازي على الرغم من اتصاله في بعض الاحايين بموسكو الا انه منذ سنة ١٩٢٠ قد صمم على اتخاذ سياسة ترمي الى تأييد السلم بكل انواع التأييد والجمهوريه التركية لا تفكر في الوقت في الاستعمار والتوغل ...

وهي تسعى جهدها للمحافظة على حدودها والاحتفاظ بكيانها . ولا نستطيع ان نبت الآن فيما اذا كانت الجمهورية التركية ستسير على سياسة الاعتدال هذه او تخرج عنها . فهذا يرجع ولا شك للعلاقات التي ستكون في المستقبل بين انقره والاستانة وان انتصار انقره على الاستانة امر مكفول مضمون طالما الغازي في قيد الحياة . واننا نتمنى له العمر الطويل .

—« انتهى »—

